نشأة بدع الصوفية

إعداد :

د.فهد بن سليمان الفهيد

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فإن طوائف التصوف التي انتشرت بين المسلمين ؛ قد أظهرت ألواناً مـــن الانحـــراف والابتداع وتغيير الشريعة وتبديل الدين ، وكان لها من الأثر الكبير والخطر العظيم على عـــوام المسلمين حتى اعتقدوا أنهم لا يصلون إلى الله عز وجل إلا من هذه الطرق الصوفية المخترعة ، و لا يزال رؤساء هذه الطوائف الصوفية يدعون إلى باطلهم ويشبهون على الأغرار حتى فتن بهـــم خلق كثير ، وصدوهم عن سبيل الله تعالى .

لذا كان من المهم الحديث عن بدع هؤلاء وما أحدثوه في الإسلام : تأريخاً ونشـــأةً ، ونقضاً ورداً لهذه البدع ؛ وهذا هو سبب جمع هذه المادة العلمية التي اشتملت علـــى مقدمـــة وأربعة فصول سيكون الكلام فيها على النحو الآتي :

الفصل الأول : في الصوفية وألقابها .

والفصل الثاني : في نشأة بدع التصوف ومراحلها.

الفصل الثالث : في أول بدع التصوف، من بعض عباد الكوفة ، وبعض عباد البصرة .

والفصل الرابع : في بذور التصوف الطرقي من القرن الثالث ، وخاتمة .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، نافعاً لعباده إنه جواد كريم ، وهو أكرم مسؤول ، وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفصل الأول :

الصوفية وألقابها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف التصوف وألقاب الصوفية .

المبحث الثاني : نشأة التصوف.

المبحث الأول : تعريف التصوف وألقاب الصوفية:

للصوفية في تحديد معنى التصوف وبيان حقيقته أقوال لا تحصى كثرة ، تـــدور علـــى المبالغة والدعاوى الجوفاء ، حتى قال بعضهم : «وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد علـــى ألف قول» [١]، وقيل عن التصوف : إنه « قد حُدّ ورسم وفسِّر بوجوه تبلغ نحو الألفين » [٢].

وبعض الباحثين يبين أن هذه الكثرة ترجع إلى إشارات وتلميحات إلى حقيقة التصوف الباطلة ألا وهي القول بوحدة الوجود[٣] .

ولكن أهل العلم بحثوا هذه المسألة من جهة الاشتقاق اللغوي ومن جهة المعنى المراد به

فأما من جهة الاشتقاق اللغوي :

فالنسبة في " الصوفية" إلى الصوف ؛ لأنه غالب لباس الزهاد من المتقدمين ، هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم في المعنى الذي لأجله سموا صوفية ، قال شيخ الإسلام ابن تيميـــة رحمه الله تعالى : « وتنازعوا في " المعنى " الذي أضيف إليه الصوفي - فإنه من أسماء النسب : كالقرشي والمدني وأمثال ذلك . فقيل : إنه نسبة إلى " أهل الصفة " وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك لقيل : صفي ، وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله ، وهو أيضا غلط ؛ فإنه لـــو كان كذلك لقيل : صفي ، وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط ؛ لأنه لـــو كـــان كذلك لقيل : صفوي ،وقيل : نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النساك وهذا وإن كان موافقا للنسب من جهـــة اللفظ فإنه ضعيف أيضا ؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولأنه لـــو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتـــابعيهم أولى ، ولأن

(1)عوارف المعارف للسهروردي ص٥٧ .

(2)قواعد التصوف لأحمد زروق ص٣ .

(3)وحدة الوجود عند الصوفية د. أحمد القصير ص٨٣ –٩١ .

غالب من تكلم باسم " الصوفي " لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام ،وقيل :- وهو المعروف - إنه نسبة إلى لبس الصـــوف » [١].

وقال أيضاً :« والنسبة في الصوفية إلى الصوف على الأرجح لأنه غالب لباس الزهـــاد والعباد.» [٢] ، وقال :«وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم صوفي، وليس في طريقهم مقيدا بلبس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك، ولا علقوا الأمر به ، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال» [٣] ، فهذا ما يتعلق بهذه النسبة من جهة لفظها .
وأما من جهة المعنى فالمراد بهذا اللقب عند كثير من الناس : أهل الزهد والانقطاع عن الـــدنيا المشتغلون بما يصلح القلوب من أنواع العبادات . ثم صار بعد ذلك عند هؤلاء : وصـــفاً لمـــن سلك سبيلهم ، وإن لم يتحقق فيه المعنى ؛ بل صار يطلق على من انتسب لهذه الطائفـــة ولـــو عرف عنه الانحراف في معتقده وسلوكه ، كما أنه قد ينتسب لهم بعض العلماء والأئمة المشهود لهم بالصدق والاستقامة في الأزمنة المتقدمة ، لكن صار الغالب على المتأخرين هو الوقـــوع في البدع الشركية كالاستغاثة بغير الله ، والبعد عن السنة النبوية في غالب أنواع العبادات ، ممـــا سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فهذا الاسم في الأصل ليس باسم ممدوح كما أنه ليس اسماً مذموماً ، وإن كان قد يذم من جهة التعصب والحمية ، لكن صار بعض أهل العلم يجعله علامة على العبادة والزهد والورع ونحو ذلك ،وصار بعضهم يجعله علامة على بدعة الرجل ، وانحرافه في مسائل السلوك والاتباع وهذا أليق بالعصور المتأخرة نظراً لارتباط هؤلاء المنتسبين لهذا الاسم بالبدع الظاهرة[٤] .

---

(1)مجموع الفتاوى (١١/ ٦) .
(2)المصدر السابق (١٠/ ٣٧٠) .
(3)المصدر السابق (١١/ ٥ - ١٨). وانظر :تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٧٢ ، مقدمة ابن خلدون ص٤٣٢ .
(4)ينظر في ذلك فتوى اللجنة الدئمة للإفتاء في المملكة العربيةالسعودية (٢/٢٦٨ــ٢٧٠) .

وللصوفية ألقاب وأوصاف يعرفون بها ، ففي أول الأمر كان لفظ العباد والزهاد يطلق على من اشتغل بالعبادة ، وعرف عنه الزهد ، ثم تميز بعضهم بذلك ،وصار لهم بعد ذلك أسماء خاصة وألقاب جديدة كالجوعية ، والفقرية ، والفكرية ،فالجوعية نسبة إلى الجوع الذي اتصفوا به تقللا وتزهدا ، والفقرية نسبة إلى الفقر والتقلل من الدنيا ، وربما المراد الفقر إلى الله عز وجل بالتعبد له والاضطرار إليه ، والفكرية نسبة إلى الفكرة والتفكر .

ثم اشتهر لقب الصوفية بعد ذلك حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعـــالى : «وكان للزهاد عدة أسماء ؛ يسمون بالشام: الجوعية ، ويسمون بالبصرة : الفقرية و الفكرية ، ويسمون بخراسان: المغاربة ، ويسمون أيضا: الصوفية والفقراء » [1] ، ثم بعد حدوث الطرق، ودخول المحدثات والرسوم ، وما يميز بعضها عن بعض صار لكل منهم طريقة لها اسم خـــاص وشيخ وغير ذلك من الأسماء والألقاب التي أحدثوها .

---

(1)المصدر السابق (١٠/ ٣٦٨) .

المبحث الثاني : نشأة التصوف

لقد تنوعت آراء الباحثين في منشأه ، وذلك من جهة سبب وجـــوده ، و انتشـــاره ، وتشابه الأفكار بما قبله من الأديان المنحرفة والمذاهب الجاهلية،فبعض من يدافع عن التصـــوف يصر على أن مصدره إسلامي، وأنه متلقىً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا مصدر له غيرهما (١).

ويزعم بعض هؤلاء أن بداية التصوف هو مع نزول جبريل بالوحي إلى النبي صـــلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم أول صوفي !! وبعضهم يجعـــل بدايـــة التصوف عند بعض الصحابة، وأن الثلاثة النفر الذين أراد أحدهم ألا يتزوج ، والآخر ألا ينام ، والثالث ألا يفطر ، ومنهم من يعد كبار الصحابة من الصوفية كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

ومنهم من يقول إن التصوف اتخذ الأساس الأول من سلوك الرسول صـــلى الله عليـــه وسلم ، وبعض الصحابة الذين أخذوا على أنفسهم بالعبادة والزهد والتقشف ومجاهدة النفس ، أي أنهم وضعوا البذور الأولى التي انبثقت منها روحة الحياة الروحية ، ثم نمت وآتت أكلها في حياة التابعين ومن تلاهم ! (٢)

فعلى هذا الزعم : أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنـــهم لم تؤت أكلها ! و لم تنضج الأحوال والمقامات في الأمة حتى جاء أولئك الخلوف المنحرفون !
وكل هذا محاولات يائسة لتصحيح هذا الاتجاه الذي لا يُشكُّ في مخالفاته وبدعه وشطحاته .

---

(١) انظر تاريخ التصوف لعبد الرحمن بدوي ص ٤٤ .

(٢) انظر الحياة الروحية في الإسلام ص١٠-١١ ، والتصوف والاتجاه السلفي ص ١٥ د. محمد مصطفى حلمي .

ومن الباحثين من يقول إن مصدر التصوف دخيل على الإسلام ، وأن له عدة مصـــادر أجنبية منحرفة – وسيأتي الحديث عن أنواع هذه المصادر – وهذا الرأي له ما يؤيده من واقع الصوفية ، ومن أقوال كبارهم وكلماتهم .

ولكن ينبغي معرفة أمر مهم ؛ وهو أن بدع التصوف وانحرافاته متعلقة – في الأصل – بالشعور والوجدان ، والنفس الإنسانية واحدة متشابهة من جهة التصـــرفات والانفعـــالات ، وسائر النفوس يصيبها الفرح والحزن والحب والبغض وتتأثر بالمجاهـــدة والتعـــب والإجهـــاد وانحرافاتها تكاد تكون متفقة في السبب وحينئذ فلا عجب من تشابه منحرفة الصوفية من هذه الأمة بمن انحرف من الأمم السابقة .

وقد قال الله عز وجل : â r%A!©%ïû ÿ ÷èß=qb qöÿ ä3K3Z$$!ª &÷ Ûïÿ•Y$ ä#ÿ . ‹¨ÿ7 %$A
$!©%ïú šB` 7ÿ=Ngÿ B#ÿ %qÿgÔ @±»7gM èe÷qÇgÔ á [البقرة :١١٨]

وقال تعالى عن تكذيب الكفار للرسل : â &?q# ¹öÿ ïî¾ /@ èdN %öR Û$âqb ÈÎÇ á [الذاريات :٥٣]

فالأمراض الكامنة في النفوس إذا لم تعالج بالوحي المنزل انحرفت إلى أنواع من الباطل ، واستحسنت العقول الناقصة الأعمال الجاهلية بالإضافة إلى تزيين الشيطان ذلك لأهله ولهذا تجد أن الثلاثة النفر الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمّا هموا أن يشددوا على أنفســـهم في العبادة وبالامتناع عن المباحات فوقعوا في هذا الخطأ ؛ قام النبي صلى الله عليه وسلم وخطـــب الناس على المنبر ، وأبطل هذا الانحراف في بدايته [(١)]؛ لتعلم الأمة سماحة هذه الشريعة ومحاســـن هذه الملة المحمدية وفضائلها فهي تزكي النفوس وتصلح الدين ولا تهمل الدنيا.

إذا علم هذا فيقال : إن كون التصوف نشأ بسبب مؤثرات خارجية فقط ، وأن مـــن أحدثه أول الأمر تلقى عنهم : فيه شيء من المبالغة ، و الأقرب أنه حدثت بدايته بانحرافات من بعض العبّاد في عصر التابعين ، ثم تطورت وزاد الأمر بسبب الالتقاء بين بعض العباد وبعـــض الرهبان وضُلال فارس والهند وغير ذلك من المؤثرات ؛ فاجتمع فيه الأمران .

---

(١) البخاري(٤٦٧٥) ،ومسلم (٢٤٨٧) .

فالأديان والملل السابقة لها أثر في إذكاء الانحرافات وزيادته وتأصيله في القلوب . وبعض هذه المؤثرات يكاد الباحث يقطع بأن لها أثراً عظيماً في إحداث بعض البدع فمثلا بدعة الاتحاد والحلول ليست إلا نتيجة لمؤثرات فلسفية وفارسية وبوذية .

بعض المؤثرات الخارجية في التصوف :

هناك عدة مؤثرات خارجية أثرت في التصوف ومنهجه ومسلكه وتصوره ، ومنها :

١ - التأثير النصراني و اليهودي :

وقد ذكر كثير من الباحثين قصصاً تدل على تأثر المتصوفة برهبان أهل الكتاب الضالين، وهذا ليس ببعيد على جهلة العباد ، ومن ذلك لبس بعضهم لباساً يشبه ألبسـة النصـارى ــ واتخاذ الخوانق والرُبُط والزوايا ، والعزلة التي أحدثوها ، وكذلك تشبههم بالرهبان في التبتـل وترك النكاح ، وتقاربهم في عقيدة الحلول والاتحاد ، ووجود بعض المصطلحات النصـرانية في كلام بعض الصوفية مثل كلمة اللاهوت والناسوت والرهبوت وغيرها[١] .

٢ - الأثر الهندي والفارسي والأثر البوذي الوثني :

وثبوت تأثير هذا المصدر أكده كثير من الباحثين نظراً للتشابه في ما يتعلق بين الطريقتين في موضوع الأرواح والقول بالتناسخ ، وفي طريق الخلاص من الدنيا ، وفي إلغاء التمايز ومحـو الإشارة ، ومن أسباب ذلك انتشار هذه الديانات الباطلة في خراسان والعراق ونحوها[٢].

الأثر اليوناني الفلسفي : تتشابه عقائد الصوفية ونظرياتهم إلى حد كبير مـع المـدارس الفلسفية المشهورة ومن أبرز تلك العقائد : وحدة الوجود واتحاد الخالق بالمخلوق ، يقول أبـو

---

(١) انظر التصوف المنشأ والمصادر ص٤٩ لإحسان إلهي ظهير ، والتصوف بين الحق والخلـق ص١٢-٢٠ لمحمد فهر الشقفة ، و تاريخ التصوف الإسلامي ص٣٣-٣٥ لعبد الرحمن بدوي ، وانظر ما ذكـره ابـن الجوزي في تلبيس إبليس ص١٩٠ .

(٢) انظر وحدة الوجود عند الصوفية ص ٨٢ ، وكتاب أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ص٧٢ ، وفصول في أديان الهند للأعظمي ص٤٥-٤٦ ،وانظر البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها لعبدالله مصطفى نومسوك ، وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني .

الوفاء التفتازاني : «ونحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي ... وليس من شك أن فلسفة أفلوطين الإسكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن الـــنفس ، وعن العالم المحسوس ، كان لها أثرها في التصوف الإسلامي » ، لكنه أشار إلى أن ذلك التأثير لا يعني أن مصدر التصوف كله هو الفلسفة اليونانية ، وأن إقبال الصوفية على هذه الفلســـفة كان في وقت متأخر من القرن السادس الهجري وما بعده [١].

ويقول أحد صوفية الهند المعاصرين يوسف بن سليم جشتي : « إن التصوف لم يقتـــبس و لم يؤخذ إلا من المنابع الصافية والمصادر الطاهرة وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة التي نشـــرها أفلوطين الإسكندري وفلسفته في الإلهيات تدور على وحدة الوجود وهذا عين ما كان يـــؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي وغيره، كما أومن به أنا أيضاً» [٢] ، ويقول محمد أبو الفيض المنوفي شيخ الطريقة الصوفية المعاصرة: «أكثر الصوفية الأعاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة أو الهندية، وما قبسوه عن اليونانية والأفلاطونية الحديثة وبين تصوفهم الخاص ، وقد تأثر أمثـــال أولئك ببراهمة الهند والفرس في أزيائهم وطقوسهم ، واعتنقوا قدراً من أفكارهم» [٣].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق عن التصوف إنه «عقيدة فلسفية قديمة نشـــأت قبـــل الإسلام في الفلسفة الاستشراقية المنسوبة إلى أفلوطين والفلسفات الهندية القديمة ، والتي ما زالت عقيدة الهند إلى اليوم ، وهي القول بوحدة الوجود ...» [٤]

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الشيوخ الأكابر ومتقـــدمي المنســـوبين إلى التصوف ليس فيهم من دخل في الانحرافات الفلسفية وأن تلك الانحرافات دخلت بعد ذلـــك

---

(١)كتاب مدخل إلى التصوف الإسلامي ص٣٩للتفتازاني وهو شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر سابقا .

(٢)التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ص ١٢٧ .

(٣)جمهرة الأولياء (٢٦٦/١) .

(٤)الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص١٨ . انظر أيضا : تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني لعبد الرحمن بدوي ص٢١-٤٣ ، نشأة الفلسفة الصوفية لعرفان عبد الحميـــد ص١٣٣ ، تاريخ الفلسفة اليونانية لمحمد مرحبا ص٥١ ، تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص١٤، التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير ص١٢١.

فيقول : « والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وأبـو القاسم القشيري في الرسالة كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهـل الحـديث كالفضيل بن عياض والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي وغيرهم وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتـب لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فـروع العقائـد ، و لم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة ؛ وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين ، فصـارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم وأعلامهم ، وتارة علـى اعتقـاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم ، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة»[١] .

وقال أيضاً :«وهذا الإلحاد الذي وقع في كلام ابن عربي صاحب الفتوحات وأمثاله في أصـول الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يكن في كلام العلماء والشيوخ المشهورين عند الأمة الذين لهم لسان صدق ولكن هؤلاء أخذوا مذهب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كابن سينا وأمثاله الذي دخل كثير منها في كلام صاحب الكتب المضنون بها على غير أهلها وأمثاله فأخرجوهـا في قالب الإسلام بلسان التصوف والتحقيق كما فعل ابن عربي » [٢].

وقال : «وكثير من ملاحدة المتصوفة كابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني وغيرهـم يوافقونهم في أصولهم لكن يغيرون العبارات فيعبرون بالعبارات الإسلامية عما هو قولهم »[٣].

وقال أيضاً:«ولكن دخل في طريقهم أقوام ببدع وفسوق وإلحاد وهؤلاء مـذمومون عنـد الله وعند رسوله وعند أولياء الله المتقين وهم صالحوا عباده مثل من يظن أن لبعض الأولياء طريقـاً إلى الله بدون اتباع الرسول أو يظن أن من الأولياء من يكون مثل النبي أو أفضل منـه أو أنـه يكون من هو خاتم الأولياء أفضل من السابقين الأولين ، أو أعلم بالله من خاتم الأنبياء وأمثال

---

(١)الصفدية (١/٢٦٧) .

(٢)الصفدية (١/٢٦٥) .

(٣)الرد على المنطقيين ص ٢٨١ .

هذه المقالات التي تقولها من دخل فيهم من الملاحدة الضالين ، ومن هذا الوجـه صـار قـوم متصوفون يتفلسفون » [١].

وقال :« ولكن هذا بناه ابن عربي وأمثاله من الملاحدة على أصول الفلاسفة الصابئة وهـؤلاء أخذوا كلام الفلاسفة أخرجوه في قالب المكاشفة ...فهذا وأمثاله هو المكاشفة التي يرجع إليها من استغنى عن تلقي الأمور من جهة السمع وهؤلاء هم الذين سلكوا ما أشار إليـه صـاحب الإحياء وأمثاله ممن جرى في بعض الأمور على قانون الفلاسفة وطريق هؤلاء المتفلسفة شر من طريق اليهود والنصارى وقد بسط الكلام على طريقهم في غير هذا الموضع ، والمقصود هنا أن هؤلاء مع إلحادهم وإعراضهم عن الرسول وتلقى الهدى من طريقـه وعزلـه في المعـنى هـم متناقضون في قول مختلف يؤفك عنه من أفك فكل من أعرض عن الطريقة السـلفية النبويـة الشرعية الإلهية فإنه لابد أن يضل ويتناقض ويبقى في الجهل المركب أو البسيط »[٢].

وقت اشتهار لفظ الصوفية :

لا يختلف أحد في أنه لم توجد هذه الطائفة بهذا الاسم في عهد رسول الله صـلى الله عليه وسلم ووقع الخلاف في تحديد تاريخ ظهوره .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «أما لفظ " الصوفية" فإنه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد مـن الأئمـة والشيوخ : كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما . وقد روي عـن سـفيان الثوري أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري؛ فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحـد مـن أصحاب الحسن » [٣] .

(١)الرد على المنطقيين ص ٥١٦.

(٢)درء التعارض (٣٥٥/٥).

(٣)مجموع الفتاوى (١١/ ٦) ، وانظر تلبيس إبليس ص ١٦٣، ومقدمة ابن خلدون ص٤٣٢ .

ويذهب كثير من الباحثين المعاصرين إلى أن التصوف حتى في العصر القديم لا يراد بــه أهل الزهد والانقطاع والعبادة ؛ بل هو مذهب منحرف لطائفة ضالة من أول ما أحــدثت ولا يصح نسبة أحد من الصحابة ولا أئمة التابعين إليها [١].

يقول أبو الوفاء التفتازاني :" من الأدق عدم إطلاق اسم الصوفية على زهاد المســلمين حتى أواخر القرن الثاني " وذكر أن مثل هذا الزهد لا تنطبق عليه خصائص التصوف[٢] .

هذا عن التصوف قديماً ، وأما ما عليه كثير من متأخري الصوفية فقد وقعوا في أشــد أنواع الغلو والانحراف ؛ فالتصوف الآن طريقة خاصة في السلوك لها قواعد ورسوم يقوم بهــا المتبع لهذه الطائفة [٣].

وهم ليسوا درجة واحدة بل أنواع ومراتب تجمعهم بدع وانحرافات في السلوك وفي غيره ، لكن منهم غلاة انتهجوا أقوالا إلحادية كفرية، ولذلك صاروا من أعظم أهــل البــدع والأهواء الذين ابتلي بهم المسلمون لما يتظاهرون به من الزهد والعبادة مع أنهم يحملون أنــواع الكفر والإلحاد.

والغريب أن أئمة المتصوفة المنحرفين عن الإسلام كالحلاج وابن عربي وأمثالهما لازالوا معظمين ومقدسين عند المتأخرين الذين يدعون الاعتدال والوسطية!! ، يقدســون كلمــاتهم الكفرية ، ومقالاتهم الإلحادية ، ويدافعون عنها مما يدل على خبث الطوية وسوء المعتقد وفساد المنهج ، فإن هذا أصله من مذهب الباطنية وبه غيرت الشرائع وحرفت الأديان .

وبعض الملبسين[٤]ربما يحتج بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام غيره من أهل العلم في التفصيل الذي يذكرونه في المتصوفة وما يقترن ببعض أحوالهم فيثنون عليهم مــن بعــض

---

(1)انظر تعليق الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله على كتاب العبودية لابن تيمية ص١٦ – ٢١ ، و الفكر الصوفي للشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص٥-٦ .
(2) المدخل إلى التصوف الإسلامي ص١٠٧ .
(3)انظر : تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص١٨.
(4)انظر على سبيل المثال كتاب التصوف بين التفريط والإفراط لعمر عبد الله كامل ص ٢٠٠.

الوجوه . فيجب أن يُعلم أن شيخ الإسلام رحمه الله وعامة أهل العلم بينوا باطــل المتصــوفة ونقضوا أحوالهم المخالفة للشريعة وردوا سائر بدعهم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثــه عن الإمام أحمد والأئمة رحمهم الله تعالى وموقفهم من التصوف : «وله كــلام في " الكــلام الكلامي " و " الرأي الفقهي " وفي " الكتب الصوفية" و " السماع الصوفي " ليس هذا موضعه . يحتاج تحريره إلى تفصيل وتبيين كيفية استعماله في حال دون حال . فإنه ينبني على الأصــل الذي قدمناه من أنه قد يقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة أو غير مغفورة وقد يتعذر أو يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة إلا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا ...» (١) .

وبين رحمه الله أن طريقتهم اشتملت على الممدوح والمذموم ولاشك أن ما يمدحون به إنما هو ما وافق الكتاب والسنة وأن ذلك سببه عدم وجود من يقوم بحقائق الإيمان إلا مع وجود شيء من القصور والتفريط ؛ فلا يترك الحق حينئذ وذلك من باب تفويت أعلــى المفســدتين وتحصيل أعظم المصلحتين ، وفي هذا المقام يقول رحمه الله تعالى :

«ومن أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين فلا حاجة بــه إلى ذلــك ، ولا يستحب له ذلك ، بل يكره له . وأما إن كان لا يمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك ، مثل أن يكون في مكان يضعف فيه الهدى والعلم والإيمان والدين ، يعلمونه ويؤدبونه لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى شيخهم أو يكون انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه ، فإنــه يفعــل الأصلح لدينه ، وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه ، وإلا فلو طلب الهدى علــى وجهــه لوجده ، أما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعــة والائــتلاف إلى الفرقة، وسلوك طريق الابتداع ، ومفارقة السنة والاتباع ، فهذا مما ينهى عنه ، ويأثم فاعله ، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم »(٢) .

---

(1) مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٤)، (١٠/٣٧٦).

(2)مجموع الفتاوى (١١/٥١٤) .

وحينئذ فلا حاجة لطريقة أغنى الله عنها بمعرفة الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح ، والتي قد ضمن فيها الهدى والنور ؛ بل سلوك طريق التصوف والصوفية مـــع ظهـــور الحـــق ووضوحه ، وترك طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان هو عين التنكب عن الصراط المستقيم.

وكلام ابن تيمية السابق : « **وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه وإلا فلو طلـــب الهدى على وجهه لوجده** » يبين أن طريق هؤلاء ليس بمحمود مطلقاً ، وأنه يمكن الاســـتغناء عنه لمن وفقه الله ؛ وإذا ضم إلى ذلك العلم بأحوال المتأخرين من المتصوفة من مقارنة الشـــرك والبدعة والانحراف العظيم ، فحينئذ يكون التحذير من طريقتهم هو الحق الذي لا مرية فيـــه ، ولهذا نجد عامة علماء أهل السنة والجماعة والمحققين من الراسخين في العلم في هـــذا الزمـــان مطبقين على التحذير من الصوفية والنهي عن سلوك طريقتهم لما سبق ذكره .

فدعوة التصوف المشتملة على البدع دعوة مخالفة لما كان عليه رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالواجب أن تكون الدعوة إلى لزوم طريقته صلى الله عليه وسلم و مـــا عليه أصحابه رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان في الظـــاهر والبـــاطن ، في الاعتقـــادات والعبادات والمعاملات .

والواجب أن ترجع طوائف المتصوفة عن بدعها ، وتعلن الانقياد الكامل والاتباع الصادق لمحمد صلى الله عليه وسلم. [illegible] [آل عمران:٣١] والتمسك بالآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم .

ويقال لهؤلاء ما كان من حق عنيتموه وقصدتموه فهو مما جاء بـــه الإســـلام ، ولا داعـــي لتسميته بالتصوف ، وما كان من باطل فأمره ظاهر .

ويقال لماذا تسمون ما جاء في الإسلام من هذه الأمور باسم التصوف ، ومعلوم أن التصوف مليء بالشبهات والأغلاط ، ومليء بالأمور المنحرفة بإقرار أربابه والعارفين به خصوصا في الأزمان المتأخرة فلا يكاد يوجد متصوف إلا ومعه الغلو والشطح والانحراف ، بخلاف الزهد وترقيق القلوب ونحو هذه الأمور التي جاءت بها الشريعة فليس فيها ما يُشْكِل ،

ولله الحمد والمنة ؛ فلماذا تصرون على الانتساب إلى ما يحمل الحق والباطل بل هو إلى الباطل أقرب ، وترضون بالتسمية التي هي علم على أشياء مخالفة للإسلام ، ولا ترضون بالاسم الذي سمانا الله عز وجل : á #‹»d ’Îr @6% `Ë ûüÜÏï¡ó 3$ãN9£™ qèd â [الحج :٧٨] .

فالإصرار على هذه التسمية المحدثة وإحياءها في الأمة دليل على ما تقدم ذكره ؛ من أن ذلك حيلة لأجل تقرير هذا المذهب المنحرف ونشره بين الناس ، أو جهل كبير بالباطل وأهله .

ويقال أيضاً : إن التصوف في هذه الأزمان المتأخرة وبعد حدوث البدع الكبرى فيه ليس مجرد سلوك مخالف للسنة وإنما هو منهج آخر مخالف لمنهج الإسلام له دعاته وطرقه وأساليبه ومظاهره ، ولهذا تجد أن التصوف قد صرح بذمه علماء كثيرون . وهذا ما جعل كثيراً من الباحثين ينظرون في أسباب ذلك وتوصلوا إلى نتائج منها : أن لهذه الطائفة استمداد من منحرفة أهل الكتاب والوثنيين وغيرهم كما سيأتي ذكره .

ومن المعلوم أن أوائل أئمة الصوفية المعتبرين لم يذكروا هذا الاسم ولا هذا المصطلح ــ مصطلح التصوف ــ بل يعبرون بألفاظ أخرى كما يعبرون عن الطالب بالمريد والمريدين ويتكلمون في الزهد والصدق والرعاية لحقوق الله ونحو ذلك . وليست فيهم البدع الكبرى الموجودة في من أتى بعدهم وزعم اتباعهم ، وإن وقعوا في بعض المخالفات ؛ لكن كما قيل البدع تكون في أولها شبرا ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعاً وأميالاً وفراسخ[1] .

ومن الأمثلة على قلب الحقائق ولبس الحق بالباطل والخداع بزخرف القول : كتاب التصوف بين الإفراط والتفريط ومؤلفه : د. عمر عبد الله كامل ، وقد ضمن كتابه تقرير الشرك فأجاز طلب المدد من الأولياء والمشايخ إذا كان المدد معنويا – بزعمه – كما أثنى على غلاة الاتحادية ودافع عنهم . وكرر مقولة أغبياء المتصوفة بأن الشطحات المنقولة عن هؤلاء مدسوسة عليهم !! والعجب الذي لا ينقضي أنهم يعيدون طباعة هذه الكتب التي دُسّ فيها الكفر والشرك ــ بزعمهم ــ ثم يوزعون هذه الكتب ويمدحون أصحابها ؟! واشتمل كتابه هذا على المدافعة عن سائر بدع الصوفية الكبرى كبدع التزام الطرق الصوفية والاعتقاد بالرابطة

(1) مجموع الفتاوى(٨/ ٤٢٥) .

الشركية ، وبدع الكشف ، ودافع عن مقولات ظاهرها الكفر. ويوهم القارئ بنقله كلاماً عن بعض أئمة السنة ، ويترك من كلامهم ما فيه رد عليه .

يقول محمود عبد الرؤوف القاسم في بيان الموقف السلبي في مواجهة الصوفية :« ومــن هذه الأخطاء : قولهم : إن في المتصوفة من يؤمن بوحدة الوجود ، ومنهم من يقول بالاتحاد أو الحلول ، وفيهم الأتقياء الذين يسيرون على منهج الصوفية الحقة التي لا تؤمن بهذه الأمــور ، وطبعاً هذا كلام خطأ كله ، فالصوفية مذهب واحد ، وعقيدتها هي وحدة الوجود ، كما أن الذين لا يعرفون وحدة الوجود بينهم هم السالكون الذين لم يبلغوا بعد محل ثقة الشيخ ...وقد استغل المتصوفة هذا الموقف ، وصاروا كلهم يقولون عن أنفسهم وعن مشــايخهم لأتبــاعهم وأمثالهم إنهم على الصوفية الحقة ، ثم ينهالون بالشتائم على الدخلاء على الصــوفية ، وعلــى المبتدعة الذين يقولون بالحلول والاتحاد ،لكن بشيء من التدقيق يتضــح أن هــاتين الحجــتين السلبيتين هما أيضاً من نتاج الصوفية ومن أساليب المتصوفة في الدفاع عن أنفسهم ومعتقــدهم ...» [١] .

(1) الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٨٣٩- ٨٤١ .

الفصل الثاني :
نشأة بدع الصوفية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مراحل بدع التصوف

المبحث الثاني : نشأة بدع الصوفية

المبحث الثالث: أهم بدع الصوفية ونشأتها وبيان بطلانها وفيه مطالب :

المطلب الأول : قصد القبور وتعظيمها

المطلب الثاني : تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم

المطلب الثالث : بدعة السماع

المطلب الرابع : بدع الذكر

١- الذكر الجماعي

٢- بدع الصعق والغشي

٣- بدع الذكر بالاسم المفرد

٤- اعتماد أدعية لم ترد واتخاذها سنة

المطلب الخامس: بدعة الاحتفال بالمولد

المطلب السادس: بدعة التشديد على النفس والامتناع عن المباحات

المطلب السابع: بدع شعائر التصوف (الخرقة – البيعة – العهد – التلقين – حلق الشعر أو قصه على يد الشيخ)

المبحث الأول : مراحل بدع التصوف

عند دراسة بدع التصوف يجد الباحث اختلافها في البعد عن الإسلام ، كلما قرب العهد بالنبوة قلت البدع وكثر المنكر لها ؛ مثل عهد الصحابة رضي الله عنهم وعهد التابعين لهم بإحسان فإنهم أنكروا على من خالف الحق فقلّتْ البدع ، ولم يُرْفع لها رأس ، وكلما تأخر الوقت : ضعف نور النبوة والسنة ، وقلّ العلم ، وظهر الجفاء وظهرت الغربة في الدين التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم وظهرت البدع والأهواء وعظمت الفتن و الإحن ، ولذلك فبدع الصوفية متفاوتة ، والباحثون في موضوع التصوف يجمعون على أن التصوف مر بعدة مراحل كل مرحلة أشد من التي قبلها .

وعلى هذا فالتصوف مر بعدة مراحل :

فالمرحلة الأولى هم بعض العباد في عهد التابعين الذين أدركوا بعض الصحابة وكانوا يعرفون بالنسّاك ، والزهّاد ، والبكّائين ، والقرّاء ، والتوّابين ، ونحو ذلك من الأوصاف التي يوصفون بها لما عرف عنهم من العبادة ، والزهد ، والانقطاع عن الدنيا ، وترك الشهوات ، والملاذ المباحة ، فالمرحلة الأولى للتصوف كانت بدايتها من عصر التابعين ، وبالأخص عبّاد أهل العراق : والكوفة والبصرة أشهر مدن العراق آنذاك ، حيث ظهرت عند بعض هؤلاء علامات التشديد على النفس ، والزيادة على ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم .

قال برد مولى سعيد بن المسيب لمولاه: ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء ؛ قال سعيد : ما يصنعون ؟ قال: يصلي أحدهم الظهر ثم لا يزال صافاً رجليه يصلي حتى العصر، قال سعيد: ويحك يا برد: أما والله، ما هي بالعبادة، تدري ما العبادة؟ إنما العبادة التفكر في أمر الله ، والكف عن محارم الله [١].

وأبرز من ينسبون إلى هؤلاء مجموعة من عباد التابعين بعض تلاميذ : الحسن البصري ، ومالك بن دينار، وعتبة الغلام ، وعطاء السليمي ، وصفوان بن سليم ، وغيرهم .

---

(١)طبقات ابن سعد (١٣٥/٥).

وتنتهي هذه المرحلة ببداية المرحلة الثانية للتصوف ، ولكن لا يعني أن هذا النوع من العباد لم يَعُدْ له وجود ، بل المقصود ذكر أول مبادئ التصوف في أول حدوثه ، ولم يكن في هذه المرحلة شيء من البدع النظرية والمجادلات العلمية كما لم يكن لهؤلاء العباد لغة رمزية خاصة ، ولم يضعوا تعبيرات ولا مصطلحات خاصة بهم ، وأهم ذلك أنه لم يكن لهم اسم خاص [١].

المرحلة الثانية : ظهور التصوف بهذا الاسم وانتشار النسبة إليه.

فأول من عرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي [٢] «ت١٥٠هـ» أو «١٦٢هـ» بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول - إن صح ذلك عنه - : «لولا أبو هاشم ما عرفت دقائق الرياء» .

وذكر بعض المؤرخين أن عبدك: عبد الكريم أو محمد المتوفى ٢١٠هـ هو أول من تسمى بالصوفي ، وقد ذكر محمد بن أحمد الملطي الشافعي في كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» أن «عبدك» كان رأس فرقة من فرق الزنادقة [٣]، وذكر من صفات هذه الفرقة تحريم جميع ما في الدنيا إلا القوت ، ولا تحل إلا بإمام عادل ؛ وإلا فهي حرام ومعاملة أهلها حرام ، واسم هذه الطائفة العبدكية لأن عبدك وضع لهم هذا، ودعاهم إليه، وأمرهم بتصديقه.

وذكر ابن النديم في الفهرست أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق المتوفى سنة ٢٠٨هـ هو أول من تسمى بالصوفي ، وهو من الشيعة [٤] .

---

(١)انظر: تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، ترجمة صادق نشأت، ص٣٣-٤٣ ، وانظر: تاريخ التصوف من البداية حتى نهاية القرن الثاني، لعبد الرحمن بدوي، الحياة الروحية في الإسلام، د. محمد مصطفى حلمي.

(٢) انظر كشف الظنون (٤١٤/١) .

(٣)التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص ١٠٧-١٠٨.

(٤)انظر كتاب الصلة بين التصوف والتشيع د. كامل الشيبي ص ١٠٥ .

ولأجل هذه الأوليات صار بعض الباحثين يميل إلى أن التصوف دخيل على الإســـلام أنشأه الزنادقة والرافضة الذين عرفوا بالكيد للمسلمين قديماً [١].

فالمرحلة الثانية تميزت بظهور أحوال عجيبة وسلوك غريب لكثير من العبـــاد والزهـــاد زادوا زيادة واضحة على من قبلهم، وتميز بظهور اسم التصوف والصوفي ، وهي بداية لانتشار هذه الأسماء والمصطلحات الأخرى المصاحبة لها كالحب والفناء، وكان هذا في أوائـــل القـــرن الثاني ، والتاريخ الزمني لهذه المرحلة تقريباً هو من ظهور أبي هاشم الصوفي وأمثاله .

فمن تلك الأحوال المنقولة عنهم أن بعضهم شيّد لنفسه صومعة يعتزل فيهـــا، وآخـــر اعتكف في المغارات، ومنهم من جاب الصحاري ، ومثل هذه القصص المنقولة عنهم التي تدل على تشدد وتنطع وتعمق مع الجهل وقلة العقل في بعض ما ينقل عنهم .

ومن مميزات هذه المرحلة ظهور العبارات والمصطلحات والكلمات التي في مقام التوكل أو غيره من المقامات التي غلطوا فيها غلطاً فاحشاً فخالفوا المشروع. أو كلمات تـــدل علـــى تميزهم عن المسلمين كقول بعضهم «علمنا ....» «طريقتنا ....» «أصولنا .....» [٢] وهـــذا يدل على بداية التحزب والتفرق وهو طريق البدعة ومخالفة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين .

وفي آخر هذه المرحلة صنفت الكتب التي فيها ذكر الخطرات والأحوال وخلط الزهـــد المشروع بغيره مثل كتب الحارث المحاسبي وغيره.

---

(١)انظر: التصوف المنشأ والصادر، لإحسان إلهي ظهير، ص٤٩ وما بعدها ، والفكر الصـــوفي في ضـــوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن عبد الخالق، ص٤٥، ٦٧ وما بعدها ، وهذه هي الصـــوفية، لعبـــد الـــرحمن الوكيل.

(٢)انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني(١٩٠/١٠) ، مدارج السالكين لابن القيم (١٤٢/٣) ، ســـير أعلام النبلاء للذهبي(٦٧/١٤ ، ٦٩) .

سئل أبو زرعة الرازي رحمه الله عن كتب المحاسبي، فقال: إياك وهذه الكتب، فقيل له: في هذه عبرة، فقال: من لم يكن له عبرة في كتاب الله عز وجل، فليس له في هـــذه الكتـــب عبرة[١] .

المرحلة الثالثة :

وهي امتداد للتي قبلها وهي ما بعد نهاية القرن الثاني الهجري أو بعد ذلك ،وظهـــر في هذه المرحلة تميز ظاهر جداً لمن تتبع التاريخ وسير التراجم ، كما ظهـــر فيهـــا المصـــطلحات الغامضة والتي تحتمل عدة معانٍ، فيحملها بعضهم على ما يوافق الإســـلام إحســـاناً بـــالظن، وآخرون يفهمون منها بداية الابتداع أو حتى الزندقة والكفر لشبهها بعبارات الباطنية.

ومن هذه المصطلحات : الوحدة ، الفناء ، الاتحاد ، الحلول ، الســـكر ، الصـــحو ، الكشف ، المريد ، العارف ، الحال ، وغيرها .

وممن يدخل في ضمن هذه المرحلة أصحاب الحارث المحاسِبي ومن بعدهم ، والجنيـــد ، وشيخه السَّرِي السقطي ، وشيخ السري : معروف الكرخي ، وذو النون المصري ، وأبو سعيد الخراز وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وهذا نموذج على الأحوال المأثورة عن هؤلاء :

فقد صعد أحمد النوري «ت٢٩٥هـــ» قنطرة ، ورمى بثلاثمائة دينار في الماء واحداً بعد واحد ثمن عقار بيع له !! وهو يخاطب ربه: «حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هـــذا» ! [٢] .
وقال أحدهم لأبي بكر الشِّبْلي «ت٣٣٤هـــ» كم في خمس من الإبل ؟ فقال : في واجب الأمر شاة، وفيما يلزمنا : كلها !![٣] ، فهذه الأمور المنكرة والأحوال الشاذة صارت دين الصـــوفية وغاية الكمال عندهم .

---

(١)تلبيس إبليس ص١٦٧، وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح(٢/٨٨)فقد نقل عن الإمام أحمد نحو ذلك .
(٢)اللمع في التصوف للطوسي ص٢١٠.
(٣)المصدر السابق ص٤٩٣.

ولذلك يقول بعض الباحثين: « بلغ التصوف مرحلة النضج والكمال في القرن الثالث وازداد تكامله بحيث يمكن القول بأن التصوف الحقيقي قد بدأ منذ القرن الثالث الهجري»[١] .

وهذه المرحلة يُلْحَظُ في عبارات الصوفية مدى تأثير المصادر المنحرفة في التصوف في الأقوال وفي الأفعال وفي السلوك ، وهذا التأثر والتغير الحاصل يدل على بداية أفكار جديدة واصطلاحات خاصة كالاهتمام العظيم بالعشق ، والمحبة ، والهيام ، والذهول ، وغير ذلك ، ومن أهم ذلك : أن العبادة ليست هي الهدف الأعلى بل هي مقدمة لما هو أعلى منها !! وهذه مقدمات للقول بوحدة الوجود والقول بالحلول[٢].

وتجدر الإشارة إلى أنه في المرحلة الثالثة ابتدأ ظهور التحزب المنهي عنه والتعصب للشيوخ الصوفية الذي هو أصل بداية الطرق الصوفية .

فصار ظاهراً جداً في هذه المرحلة : التعصب لشيخ الطريقة والتحزب حوله ، وصار لكل شيخ طريقه في الآداب والرسوم والذكر ، وصار للشيخ سلطة على مريديه [٣].

المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة التصوف الحلولي الاتحادي ، وظهر القول بحلول الله في خلقه عند بعض الصوفية ، وصرحوا في ألفاظهم بهذا الكفر والضلال .

ومن هؤلاء : الحلاج ؛ الحسين بن منصور الذي قُتِل ردةً سنة ٣٠٩هـ ، وهو أشهر القائلين بالحلول والاتحاد ، ورمي بالكفر وقتل مصلوباً ، واشتهر عنه كفريات عظيمة [٤]، وجاء بعده أقوام اقتدوا به وغلوا في الكفر ، نسأل الله السلامة والعافية .

---

(١)تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٧١.

(٢)تاريخ التصوف ص٧٨ ، وانظر الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٩ ، ١٠٥ .

(٣)الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣١٧ ، ٦٠٣.

(٤)انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٣/١٤-٣٥٤) وانظر خبر الشبلي معه في (٣٣١/١٣) ، وانظر اللمع ص ٤٩٠ ، اللمع ص ٤٩١.

وهذه المرحلة استقر فيها التصوف وتمهدت قواعده وفسرت غوامض أقوال الشيوخ بما يدل على الاتحاد والحلول ، وظهرت فيها أقطاب الصوفية ،كما ظهر التصوف الطرقي واضحاً بوضوح طرقه وتنوعها، وتسربت في هذه المرحلة الفلسفة اليونانية ، ومن أسباب ذلك الترجمة الواسعة للكتب اليونانية ، وانتشار الباطنية (١).

ويذكر عباس العزاوي المؤرخ العراقي «ت ١٣٩١هـ» أن غلاة المتصوفة نشـطوا في أواخر المائة الثالثة من الهجرة ، وأنهم نشطوا بأبي منصور الحلاج متأثرين بالأفلاطونية الحديثة من جهة وبالهنود من جهة أخرى .

وفي أواسط المائة السادسة اغتنموا فرصة الدعوة ، وبثوا كتاب الإشارات ودعا السهروردي المقتول لمذهب الإشراقيين (٢)، ولخص الفخر الرازي الإشارات وشرحه ؛ فكان أكبر دعوة للإشراق وعقائده سواء باعتباره عقيدة فلسفية أو عقيدة باطنية أو تصوفية ، فانتشرت الفلسفة الإشراقية في أواخر العهد العباسي ، ودخلت في التصوف فزادت في نفوذها، وكثر الاشتغال بها (٣).

والمقصود بيان مدى انحراف التصوف على تنوع مراحله ، وما وقع فيه أصحابه من مخالفة لتوحيد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

---

(١)انظر ما تقدم عن تأثير الفلسفة على التصوف ص ١٩ .

(٢) قال في كشف الظنون ١/٦٧٧-٦٧٨ : (حكمة الإشراق من العلوم الفلسفية بمترلة التصوف من العلوم الإسلامية كما أن الحكمة الطبيعية والإلهية منها بمترلة الكلام منها ...والطريق إلى هذه المعرفة من وجهين أحدهما طريقة أهل النظر والاستدلال وثانيهما طريقة أهل الرياضة والمجاهدات والسالكون للطريقة الأولى إن التزموا ملة من ملل الأنبياء عليهم السلام فهم المتكلمون وإلا فهم الحكماء المشّاؤن والسالكون إلى الطريقة الثانية أو وافقوا في رياضتهم أحكام الشرع فهم الصوفية وإلا فهم الحكماء الإشراقيون فلكل طريقة طائفتان) ويقول (١/٤١٤) :(واعلم أن الإشراقيين من الحكماء الإلهيين كالصوفيين في المشرب والاصطلاح خصوصا المتأخرين منهم إلا ما يخالف مذهبهم مذهب أهل الإسلام ولا يبعد أن يؤخذ هذا الاصطلاح من اصطلاحهم كما لا يخفى على من تتبع كتب حكمة الإشراق) .

(٣)انظر تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق لعباس العزاوي (مخطوط) ص٦٦-٦٧.

المبحث الثاني : نشأة بدع الصوفية

يعرف فساد منهج المتصوفة بمخالفته لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة وقت حدوث بدع الصوفية يدل على ذلك ، يبينه قوله صلى الله عليه وسلم : " فإنه مـــن يعـــش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ؛ فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهـــديين مـــن بعـــدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعـــة ضلالة "[١] ، وظاهر أن كثيراً من قواعد البدع المنتشرة عند المتصوفة وجـــدت قبـــل ظهـــور مصطلح التصوف ؛ فإن التصوف والصوفية لم يعرف مصطلحاً على هذه الطائفة إلا في أتباع التابعين ومن بعدهم ، والابتداع في العبادة والسلوك قد بدأ قبل ذلك .

وأما بدع التصوف الغالية كبدعة القول باتحاد الخالق مع المخلوق وغيرها من المقالات الكفرية فنشأت بعد ذلك بمدة ، وعلى وجه التقريب في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ومن الملحوظات في التتبع التاريخي لبدع التصوف ما يأتي:

١. أن مصطلح التصوف بدأ في العراق ، ولم يعرف في الحجاز ولا مصـــر ولا الشـــام ، والسبب في ذلك ــ والله تعالى أعلم ــ هو قرب تلك البلاد من بلاد فارس .
٢. أن الأخطاء التي وقع فيها العباد والزهاد صارت فيما بعد هي شعار الصـــوفية الـــذي يلتزمون به ، ودينهم الذي يتمسكون به.
٣. أن الصوفية في القرن الثالث الهجري وما بعده ابتعدوا عن العلم وأهله، بـــل ورمـــوهم بالألقاب المنفرة، فصارت « الحقيقة ، وعلم الباطن ، والوصول » لهم، أمـــا الرســـوم والمظاهر فلغيرهم[٢] !!.

تفرق الصوفية في القرن الثالث والرابع الهجريين إلى طبقات وأنواع ؛ فمن ذلك: طبقة ترى لزوم طريقة السلف وتدعوا إليها وتنهى عن الابتداع ، وبعضهم لم يعرف عنه انحراف

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة (١٣/٥) والترمذي في العلم (٤٤/٥) وابن ماجه في المقدمة (١٥/١)، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢)ينظر موقفهم من العلم وأهله فيما حكاه ابن الجوزي عنهم في كتاب تلبيس إبليس (٣٨٩/١-٤٠١) .

في المعتقد، ولكن مع ذلك يبقى انتسابهم لهذه الطريقة وابتعادهم عن العلم وأهله من أعظم أسباب انحرافهم وانحراف أتباعهم . وطبقة أخرى ظهرت عندهم ألفـــاظ ومصـــطلحات وحدود كالحال والذوق والوجد والهواتف والمكاشفات فأخذها عنهم أتباعهم ؛ وكان لهذا أعظم الأثر في جرف تيار الصوفية إلى ما جاء بعده من انحرافات عظمى ، ومن هؤلاء : ذو النون المصري «ت ٢٤٥هـــ» ، وأبو يزيد البسطامي « ت ٢٦٣هـــ» ، والحكيم الترمذي «ت ٣٢٠هـــ» وغيرهم ، وهذا الذي حدث في الطبقة الثانية من الصوفية في هذين القرنين وهي طبقة ظهر فيها عبارات الحلول والفناء والسكر والصحو والبقاء ، والعارف والأحوال والمقامات ، وشاع عندهم التفريق بين الحقيقة والشريعة ، وهذه الطبقة رُمِيَ كـــثير مـــن أصحابها بالزندقة والكفر والردة ، وذلك لما نقل عنهم من عبارات وألفاظ تدل على ردهم، وظهر فيهم الحلولية ومنهم الحلاج «ت ٣٠٩هـــ» ،

ومن الحق أن هؤلاء مهدوا للباطنية والاتحادية والفلاسفة إدخال الكفر باسم الإسلام ، وإدخال الإلحاد باسم التصوف .

وهذا ما وقع بعد هذين القرنين فظهر القول بوحدة الوجود ، وظهر ابن عربي الملقب بالشيخ الأكبر «٥٦٠هـــ-٦٣٨هـــ» وهو من أشهر من قرر القول بوحدة الوجود ودعا إليه ؛ وعدَّ نفسه خاتم الأولياء ، وظهر التصوف الفلسفي الإشراقي على يد السهروردي شـــهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن «٥٤٩هـــ-٥٨٧هـــ» هو صاحب مدرسة الإشـــراق الفلسفية التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في حقيقـــة الوجود، وبين الفلسفة اليونانية .

٤. في بداية القرن السادس ظهرت الطرق الصوفية وانتشرت ، وأشهر طريقة هي القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني «ت ٥٦١هـــ» ، كما ظهر أبو الحســـن الشـــاذلي «ت ٦٥٦هـــ» وهو من أصحاب ابن عربي . وظهرت الرفاعية وطرق أخرى كثيرة .

٥. القرن السابع والثامن والتاسع لم تظهر نظريات جديدة للصوفية سوى شـــرح كتـــب أصحابهم والدفاع عنهم والغلو فيهم ، وظهرت كتب تراجم الصوفية .

٦. وهكذا القرون المتأخرة من العاشر إلى الرابع عشر ، لكن ظهرت ألقاب جديدة ؛ مثل: شيخ السجادة ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وفي القرن الرابع عشر أُسّس في مصر مجلس أعلى للطرق الصوفية ، لتنظيمها وترتيبها والإذن والسماح بافتتاح طرق جديدة ونحو ذلك .

وللصوفية في العصر الحاضر خطر كبير ولهم سعي في نشر باطلهم والدعوة إليه ، ويتضح ذلك بما يلي :

١- فالطرق الصوفية منتشرة في العالم الإسلامي انتشاراً واضحاً ؛ فلهم نشاط واضح في طبع كتب التصوف الغالية ككتب الشعراني وكتب ابن عربي وابن الفارض وغيرهم ، ولهم نشاط واضح في دعم طرقه ، ولهم سعي كبير لنشر التصوف في كثير من الوسائل الإعلامية .

٢- ومن أقوال بعض المعاصرين الذين مدحوا هذا التصوف المنحرف :

● يقول محمد بن علوي مالكي : «الرجل منهم «يقصد الصوفية» يعيش دائما في مقام الإحسان ، يرى الله في كل شيء ، إنه إيمان يبعث اليقظة الشاملة في الحياة ويضفي عليها الإحساس العميق بالربانية السارية في الكون ، والتي تعيش في أعماقنا» وجوز في كتابه أنواعاً من الشرك [١] ، وله كتاب يقرر فيه الشرك الصريح سماه شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد ومن كلامه فيه :" زيارة نبوية " ثم نقل منها : « وقد وفدت عليك زائرا ، وبك مستجيرا وجئتك مستغفرا ، .. فها أنا في حضرتك وجوارك ونزيل بابك .. » ثم ذكر قصيدة اشتملت على الشرك بالله تعالى وهي " قصيدة الحجرة النبوية الشريفة " ووصفها باليتيمة العصماء ، ومنها :

«يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي مالي سواك ولا ألوي على أحدِ
إني إذا سامني ضيم يروعني أقول يا سيد السادات يا سندي
كن لي شفيعا إلى الرحمن من زللي !! » [٢].

ومن ذلك كتابه الذميم الذي سماه الذخائر المحمدية وضمنه أموراً منكرة ، منها : أنه نسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفات هي من خصائص الله تعالى ، كقوله : بأن لرسول الله مقاليد السموات والأرض ، وأن له أن يُقْطِع الجنة ، وأنه يعلم الغيب والروح

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي مالكي ص٣٢ ، وكتاب شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد .

(٢) كتاب شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد ص٢٠٣ .

والأمور الخمسة التي اختص الله بعلمها ، وأن الخلق خلقوا لأجله ، وغير ذلك من ذكـــره لأبيات تضمنت الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم[١] .

- وقال أبو العلا العفيفي : « التصوف هو المظهر الروحي الديني الحقيقي عنـــد المسلمين ، لأنه المرآة التي تنعكس على صفحتها الحياة الروحيـــة الإســـلامية في أخـــص مظاهرها فإذا أردنا أن نبحث عن العاطفة الدينية الإسلامية في صفاتها ونقائهـــا وعنفهـــا وحرارتها وجدناها عند الصوفية »[٢].
- ويقول عبد القادر عطا : « الملاذ الوحيد إذاً لجماعات المسلمين في عصرنا هذا: هو التصوف ، هو الذي يمكن أن يعيد إلى الأمة قوتها ، وجبروتها الضائع ، وحضارتها التي ذبلت» [٣].
- ويقول عبد الرحمن عميرة : « قد توخيت عند تناولي لهذا البحـــث – تبيـــان الجانب الروحي للإسلام ، وتوضيح أن التصوف روح الإسلام وجوهره ، منه ينبع ، وإليه ينتسب ، وهو لهذا يلتزم الكتاب والسنة ، يلتزمهما قولا وفعـــلا ، ويلتزمهمـــا ســـلوكا ومنهجا »[٤] .
- يقول محمد أمين الكردي النقشبندي : «يلاحظ الذاكر معنى لا إلـــه إلا الله أي لا معبود ولا مقصود ولا موجود إلا الله فهذه ثلاث معان ؛ الأولى للمبتـــدئ ، والثانيـــة للمتوسط ، والثالثة للمنتهي »[٥] .

---

(١) وقد تولى الرد عليه في هذه الانحرافات فضيلة الشيخ عبد الله ابن منيع في كتاب حوار مع المـــالكي في رد منكراته وضلالاته .

(٢) التصوف الثورة الروحة في الإسلام ص٩٦ .

(٣)كتاب التصوف في عصر النابلسي ص١٨.

(٤)التصوف الإسلامي منهجاً وسلوكاً ص٥.

(٥)تنوير القلوب ص٥٤٥.

- ومثال من أهل الطريقة الشاذلية : الذين يقولون في دعاءهم « وزُجّ بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد!! ، وأغرقني في عين بحر الوحدة !! ، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها ... » [١].

- وهذا محمد عثمان عبده البرهاني السوداني : يقـــول « وإني أرى أن الشـــيخ الحلاج عليه رضوان الله تعالى لم يأت ببدعة عندما قال: ما في الجبة إلا الله » [٢] .

ونقل مقالة الخبيث الصوفي : لو رأيت أبا يزيد مرة لكان خيراً لك من أن تـــرى الله ألف مرة !! [٣].

وينقل قول القائل :

بذكر الله تزداد الذنـــوب!! وتنعكس البصائر والقلـــوب
فترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها غروب

ثم يقول البرهاني مؤيداً لهذا الكفر : ولقصر فهم الكثير من الناس يرون أن هذه القصـــيدة لمنع الذكر ، ولكن إنما هي أدب في حضرة الله !! [٤] .

فأي شيء أعظم من هذا الباطل ، والله عز وجل يقول : á Ü qèø$Ûû ÈÜö? «Í$Íò2 ÉÎ ẅ& â

[الحجر :٢٨] ، وكتابه المسمى تبرئة الذمة بنصح الأمة مليء بأنواع متعددة من الغلو والخروج عن الشريعة ، ولهذا جدير بأن يوصف كتابه هذا بأنه خيانة الذمة بغش الأمة .

- وكذلك ما ذكره عبد المحمود نور الدائم في كتابه الضياء اللائـــح في مناقـــب القطب الواضح ، والذي طبع في السودان تحت مسمى رابطة شباب السمانية :

---

(١)انظر النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص١٦ .
(٢)تبرئة الذمة بنصح الأمة ص٢٧٤، ٢٧٦ .
(٣)تبرئة الذمة بنصح الأمة ص٢٥٢ .
(٤)تبرئة الذمة بنصح الأمة ص٢٦٩ .

فقد ذكر فيه من الغلو والشرك والباطل شيئا كثيرا ، ومنه فضل رؤية من رأى شيخهم الذي يعبدونه !! بل من رأى من رأى شيخهم إلى سبع مرات لا تمسه النار !! وينسب هذا الكذب والإفك العظيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [١].

(١)انظر الكتاب المذكور أعلاه ص ٢٧ .

المبحث الثالث : أهم بدع الصوفية ونشأها وبيان بطلانها

هذا الموضوع هو لبُّ هذا البحث ، وينبغي أن يعلم أن هذه البدع التي سترد في الدراسة لا تختص بالصوفية وحدهم ، بل قد شاركهم غيرهم فيها ، وقد يكون أصلها من غيرهـــم ثم صارت فيهم - ولا يعني ذلك أن كل متصوف يفعلها كلها – لكن هي على كل حـــال ممـــا تميزت به طوائف الصوفية عموماً ؛ فأجمل أعظم بدع المتصوفة بحسب ما ظهر لي :

١- قصد القبور لتعظيمها والاعتقاد فيها نفعا أو خيرا وبناء القباب والمساجد عليها، وما يتبع ذلك من الأمور الشركية أو المبتدعة.

٢- تتبع أماكن الأنبياء والصالحين، والتبرك بها، وتحري العبادة فيها .

٣- بدعة السماع الصوفي المبتدع .

٤- بدع الذكر

٥- الاحتفال بالمولد .

٦- التشديد على النفس والامتناع عن المباحات .

٧- بدع شعائر التصوف .

المطلب الأول : قصد القبور وتعظيمها والاعتقاد فيها وبناء القباب والمساجد عليها :

ليست بدع القبور نوعاً واحداً ، بل أنواع متعددة تختلف في درجاهّا وأحكامها ؛ فمنها ما هو كفر وشرك ، ومنها ما هو بدعة محرمة ، وتختلف في درجاهّا .

وإن تعظيم القبور والغلو فيها وعبادة أصحابها من دون الله تعالى من أخطر ما وقعت فيه كثير من طوائف الصوفية المنحرفة وغيرهم من أهل الضلال ، فقد صاروا أو أكثرهم إلى أنواع من الشرك بنوعيه فبنوا المساجد على القبور ، وبنوا على القبور القباب ووضعوا الأستار والقناديل ، وجعلوا لها سدنة وصناديق لاستقبال النذور ، ومكنوا من الطواف بها والعكوف والصلاة عندها، وأوحوا إلى روادها أن هؤلاء الأموات يشفعون لهم ، ويغيثون من استغاث بهم ويجيبون الدعوات ويكشفون الكربات ، وأن لهم من الأحوال والتصرفات ما يعلق قلوب الناس بهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [1].

وأما نشأة هذه البدعة :

فقد يجد القارئ في تراجم بعض المتقدمين أنواعاً من الغلط والبدع في القبور والمقبورين ثم صارت هذه الأغلاط سبباً في وقوع هؤلاء المتأخرين في الغلو ، ومن ذلك ما نقل عن بعض المتقدمين أنه قال عن قبر معروف الكرخي: «قبر معروف الترياق المجرب» !! ، ومثل ما قال بعض هؤلاء : «أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه» ، ونحو ذلك من العبارات المفضية للتعلق بالأموات بالنذر أو بالعكوف أو

---

(١) ولمعرفة بعض واقع هؤلاء وأحوالهم ينظر في المراجع التالية :

الرد على البكري لابن تيمية ص٣٤٩ ،إغاثة اللهفان (٢٠٩/١، ٢٢٢ ، ٢٣٨) ، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله ، وفتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ، الدر النضيد للشوكاني ، رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني ، قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان ص١٠٧-١١٣ ، الشرك ومظاهره للميلي ص١٠٨ ، معارج القبول للحكمي (٤٧٥/١) ، كتاب (الله توحيد وليس وحدة) لمحمد الأنور البلتاجي ص٣٠٢ ، ٣٢٤ ، فقه السنة لسيد سابق (٥٤٩/١) ، حقيقة التوحيد ليوسف القرضاوي ص٦٤ .

بتحري الدعاء ، وليس في هذا متعلق للقبوريين فإن المعصوم من عصمه الله ، ولكن غاية ما في هذا أن يعرف متى نشأ هذا الباطل .

وهذا لا شك أنه من أسباب الشرك ومن أعظم البدع المفضية إلى الشرك ، وبسبب هذا اشتبه على كثير من الجهال الأمر وظنوا جواز مثل هذه البدع وصاروا يقصدون القبور، وانتشر البناء على القبور والعكوف عندها. وأول من بنى على القبور هم الرافضة واشتهر هذا أولاً في الديار المصرية في عهد العبيديين .

وكانت هذه البدعة في بداية القرن الثالث ، ولهذا ذكر عن بعض الخلفاء إنكار هذا الأمر كما نقل عن الخليفة العباسي المتوكل أنه أمر في سنة «٢٣٦هـ» بهدم القبر المنسوب إلى الحسن بن علي وحذر الناس منه [١] .

ثم تفاقم الأمر وتوسع بعض المنتسبين للدين والشيوخ ولُبِّس عليهم فقبلوا روايات الرؤى والقصص وصار البناء على القبور وتعظيمها ، بل والتبرك بها والاعتقاد في أصحابها أمراً منتشراً بين العوام ولا سيما الرافضة ومن تأثر بهم من جهال أهل السنة[٢].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وما أحفظ لا عن صحابي ولا عن تابعي ولا عن إمام معروف أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده ، ولا روى أحد في ذلك شيئاً ؛ لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من الأئمة المعروفين ، وقد صنف الناس في الدعاء وأوقاته وأمكنته وذكروا فيه الآثار ؛ فما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبور حرفاً واحداً فيما أعلم، فكيف يجوز والحالة هذه أن يكون الدعاء عندها أجوب وأفضل والسلف تنكره ولا تعرفه وتنهى عنه ولا تأمرنا به ، نعم صار من **نحو المائة الثالثة يوجد متفرقاً في كلام بعض الناس** «**فلان ترجى الإجابة عند قبره**» ، و«**فلان يدعى عند قبره**» **ونحو**

---

(١) البداية والنهاية: ١/ ٣١٥ .

(٢)وانظر ما حكاه المناوى عنهم في ذلك في فيض القدير (١٩٩/٤) ، وكتاب بالمدخل لابن الحاج (٢٤٦/٤) .وكتاب المنحة المحمدية لمحمد بن عبد السلام خضر اشتمل على ذكر أنواع كثيرة من هذه البدع عند الصوفية .

ذلك.كما وجد الإنكار على من يقول ذلك ويأمر به كائنا من كان »[١] **.** وقال: «وأما ما حكي عن بعض المشائخ من قوله إذا نزل بك حادث أو أمر تخافه فاستوحني فيكشف ما بـــك من الشدة حياً كنت أو ميتاً ، فهذا الكلام ونحو إما أن يكون كذباً من الناقل ، أو خطأ مـــن القائل ؛ فإنه نقل لا يعرف صدقه عن قائل غير معصوم ومن ترك النقل المصدق عـــن القائـــل المعصوم واتبع نقلا غير مصدق عن قائل غير معصوم فقد ضل ضلالاً بعيداً »[٢] **.**

«فعلم أن هذا من الضلال وإن كان بعض الشيوخ قال ذلك فهو خطأ منه والله يغفر له إن كان مجتهداً مخطئاً ، وليس هو بنبي يجب اتباع قوله ، ولا معصوم فيما يأمر به وينهى عنه ، وقد قال الله تعالى: â bÎù ãä“»Z? ’Î û äóÓ« ãÕrçÎ ’‹$ « !$$ Éqß™§9$ « bÎ) ãäLe? äê‹ãsBßéqèΔ bq㮩$$ « !$ ÏQöq‹ø9$ ¤zÅF ½1$ ¡Ïí á [النساء :٥٨] »[٣] .

وسيأتي من النصوص ما فيه كفاية ومقنع لمن رزقه الله البصيرة .

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وقد جاءت خلافة بني العباس وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق مـــا كان كثيرا منها كذبا وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء قد بنوا هناك مشهدا وكان ينتابه أمراء عظماء حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة وحتى إن المتوكل لما تقدموا له بأشياء يقال إنـــه بـــالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب ... - ثم أشار إلى خلافة بني العباس في حال استقامتها - فقال : فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقا أو كذبا كما حدث فيما بعد لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتـــابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ، ولم يكن قد أُحْدِثَ مشهدٌ لا على قبر نبي ، ولا صاحب ولا أحـــد من أهل البيت ولا صالح أصلاً ، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك ، وكـــان ظهورهـــا

---

(١)اقتضاء الصراط المستقيم (٣٦٨/١-٣٦٩) وانظر ما سيأتي في ص٦٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٥/٢٧) .

(٣)مجموع الفتاوى (١٢٥/٢٧) .

وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة ، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون علـى المسلمين ، وفشت فيهم كلمة أهل البدع ؛ وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة ؛فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر ... وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه ، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية ، وفي دولتهم قوى بنو عبيد القداح بأرض مصر ،وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف ، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك ؛ وإنما دفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة ...» (١) .

فهذا يبين أن أول من عُرف عنهم تعظيم القبور وبناء المشاهد والمزارات هم الرافضة ؛ فالرافضة أصل هذا البلاء وعنهم انتشر في الصوفية وغيرهم .

وأصل هذا أن قول القائل إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين قول ليس له أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قاله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في الدين ...ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة والمشايخ المتقدمين من يقول إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين لا مطلقاً ولا معيناً ، ولا فيهم من قال إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة ، ولا أن الصلاة في تلك البقعة أفضل من الصلاة في غيرها ، ولا فيهم من كان يتحرى الدعاء ولا الصلاة عند هذه القبور (٢) .

وهذه البدع إنما يحدثها أهلُ الغلو والشرك المشبهين للنصارى من أهل البدع الرافضة الغالية في الأئمة ومن أشبههم من الغلاة في المشايخ(٣) .

---

(١)مجموع الفتاوى (٢٧/٤٦٥-٤٦٧) ، وانظر (٢٧/١٦٧- ١٦٨) .

(٢)انظر مجموع الفتاوى (٢٧/١٢٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/١٢٧) .

وصرح الذهبي بأن ما يفعل من الشرك عند القبور في مصر بأنه من آثار الدولة العبيدية فقال :« ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ولا يجوز مما فيه من الشرك ويســـجدون لها ويلتمسون منها المغفرة وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية » [١] .

وقريب من ذلك إنكار ابن كثير لهذه الشركيات كما في ترجمة المرأة الصالحة نفيسة في البداية والنهاية[٢] حيث يقول :« قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها ، وفي غيرها كثيراً جداً ، ولا سيما عوام مصر ؛ فإنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفاظاً كثيرة ينبغي أ ن يعرفوا أنها لا تجوز ...والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها مـــن النســـاء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي صلى الله عليـــه وسلم بتسوية القبور وطمسها ، والمغالاة في البشر حرام ، ومن زعم أنها تفك من الخشب أوأنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك » .

وقال الشيخ محمود الألوسي في تفسيره روح المعاني :

«وقد رأينا كثيراً من الناس على نحو هذه الصفة ، التي وصف الله تعالى بها المشركين ، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم ، ويطلبون منهم ،من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيهم ، ويعظمون من يحكي لهم ؛ وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل ، وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله ، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة ، وينسبونه إلى ما يكره ، وقد قلت يوماً لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات ، وينادي يا فلان أغثني ، فقلت له : قل يا الله ، فقد قال سبحانه : #Œ]r â 79'™ “ Š$6ä ÓŁã ’ãù ‹fÍ% ë é Å‹ Ü šãqo$!$Ê]Œ# šã$Ê á [البقرة :١٨٦]. فغضب وبلغني أنه قال : فلان منكر على الأولياء !! وسمعت عن بعضهم أنه قال : الولي أسرع إجابة من الله عز وجل !! وهذا من الكفر بمكان ، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان » [٣] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٦) .

(٢) البداية والنهاية (١٠/٢٦٢ــ٢٦٣) .

(٣)روح المعاني (٢٤/١٠) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته ما أوحاه قديما وحديثا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بـــالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها ثم جعلت تلك الصور أجسادا لها ظل ثم جعلـــت أصـــناما وعبدت مع الله ...» ثم ذكر حديث ابن عباس عند البخاري في أصل هذه المعبودات « أنهـــا أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشـــيطان إلى قـــومهم أن انصـــبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلـــك أولئـــك ونسي العلم عبدت ، وقال غير واحد من السلف :كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل ، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهمـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصـــور أولئك شرار الخلق عند الله تعالى وفي لفظ آخر في الصحيحين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتـــا كنيسة رأينها فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور » [١].

ونقل عن ابن تيمية رحمه الله أنه وضح أن العلة التي لأجلها نهى الشارع عـــن اتخـــاذ المساجد على القبور هي سد ذريعة الشرك ، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشـــرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب ونحو ذلك فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ولهذا نجد أهل الشرك كثيرا يتضرعون عندها ويخشعون ويخضـــعون ويعبدونها بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم مـــن يســـجد لهـــا

(١)إغاثة اللهفان (٢٠٩/١-٢١١).

وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ... قال: وأمـــا إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحـــادة لله ولرســـوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى فإن المسلمين قد أجمعوا علـــى مـــا علمـــوه بالاضطرار من دين رسول الله أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه لعن من اتخذها مســـاجد فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة » (١).

وقد صح عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول :" إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخـــذوا القبـــور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك" (٢) ، وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله في مرضـــه الذي لم يقم منه:" لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خُشِي أن يتخذ مسجداً (٣)،وجاء بمعنى هذا عدد من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بـــن مالـــك رضي الله عنه يصلي عند قبر فقال: القبر القبر (٤).

وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضي الله عنهم ما نهاهم عنه نبـــيهم من الصلاة عند القبور ، وفعل أنس رضي الله عنه لا يدل على اعتقاده جوازه ؛ فإنه لعله لم يره أو لم يعلم أنه قبر أو ذهل عنه فلما نبهه عمر رضي الله تعالى عنه تنبه.

---

(١)إغاثة اللهفان (١/٢١١-٢١٢).

(٢)مسلم (٢٣٢) .

(٣)تقدم .

(٤) البخاري (١/٥٢٣) ــ فتح الباري ــ

ثم قال ابن القيم : «وقد ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكـــير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مـــال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بـــن الخطاب رضي الله عنه فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثل ما أقرأ القرآن ، فقلت لأبي العالية ما كان فيه ، قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد ، **قلت : فما صنعتم بالرجل ، قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعمّيه على الناس لا ينبشونه ، فقلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون ، فقلت :.من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال ، فقلت : مذ كم وجدتموه مات ؟ قال : مـــذ ثلاثمائة سنة ، قلت :ما كان تغير منه شيء ؟ قال : لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع .**

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به النـــاس و لم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المستأخرون لجالدوا عليه بالسيوف!! ولعبدوه مـــن دون الله !! فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يداني هذا ولا يقاربه ، وأقاموا لهـــا ســـدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد !

فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك ، ودعوا عنده ، وسنوا ذلك لمن بعـــدهم ، ولكـــن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم ، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل ، **وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنـــده ولا استشفى به ولا استسقى به ولا استنصر به ، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمـــم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه ، وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة أولا يكون ؛ فإن كان أفضل فكيـــف خفـــي**

علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلـــة بهـــذا الفضل العظيم وتظفر به الخلوف علما وعملا .

ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فإن المضطر يتشبث بكل سبب وإن كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهـــم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه ! هذا محال طبعاً وشرعاً .

فتعين القسم الآخر وهو أنه لا فضل للدعاء عندها ولا هو مشروع ولا مـــأذون فيـــه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد ومثل هذا ممـــا لا يشرعه الله ورسوله ألبتة . بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم يترل بها سلطاناً .

ومن له خبرة بما بعث الله تعالى به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هـــذا البـــاب وغيره علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب وأنهـــم على شيء والسلف على شيء ... والأمر والله أعظم مما ذكرنا...» [١]".

(١)إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (١/١٨٢-٢١٣)باختصار .

أسباب ضلال عباد الأضرحة والقبور :

لهذا الشرك أسباب أدت للوقوع فيه من أهمها :

١- التهاون بالبدع عند أول حدوثها واستسهالها وعدم الإنكار على من فعلها .

٢- «الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله بل جميع الرسل من تحقيق التوحيـــد وقطـــع أسباب الشرك .

٣- اعتماد الأحاديث المكذوبة المختلقة التي وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابريـــة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مما يناقض دينه وما جاء به كحديث:" إذا أعيـــتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور" ، وحديث " لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه " ، وأمثـــال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها المشركون وراجت على أشباههم مـــن الجهال الضلال ، والله بعث رسوله يقتل من حسن ظنه بالأحجار وجنب أمته الفتنة بـــالقبور بكل طريق كما تقدم .

٤- التصديق بحكايات حكيت لهم عن تلك القبور أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها ، وفلاناً دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له ، وفلاناً نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره ، وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره ، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات ، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضرورالها ، ويسمع بأن قبر فلان ترياق مجرب ، والشيطان له تلطف في الدعوة فيدعوهم أولا إلى الدعاء عنده ؛ فيدعو العبد بحرقة وانكسار وذلة ؛ فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجـــل القبر ؛ فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق أجابه فيظن الجاهل أن للقـــبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة .

والله سبحانه يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرا وقد قال تعالى : â ä xe0Ü‰ d‾àw‾ä

rd‾àw‾ä Bö ãÜ$ä ‘h7 rB$.‰b ãÜ$ä ‘h7 ztãYq‘# á [الإسراء :٢٠] ، وقد قال الخليل : â $öãø

&d#ã¼ Bï`$9VJ•¨N Bô ä#B` Bïåô N$! »r9$×öQ$yF½î á فقال الله سبحانه وتعالى : â rB` .ÿ• ûéBãç¼

%ï‹ÿW€Ê& Ãè”ç¼)4 ã‹# ÉE$9Z$ í rø§ 9J ÅÃ¥ á [البقرة :١٢٦].

فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه ولا محباً له ولا راضياً بفعله فإنه يجيب البر والفاجر والمؤمن والكافر ، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه أو يشترط في دعائه أو يكون مما لا يجوز أن يسأل فيحصل له ذلك ، أو بعضه فيظن أن عمله صالح مرضي لله ، ويكون بمترلة من أملى له وأمد بالمال والبنين وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات ، وقد قال تعالى : â $Ĥ=ù $S ŧqÝ ŧB $ ē ŧrãÅ2 ŧïî¾ Fù $Yó æŏÿ ôÔ qû ¨> 2à ê « ôä á [الأنعام :٢٦]؛ فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي ، وقد يكون مسألة تقضى به حاجته ، ويكون مضرة عليه إما أن يعاقب بما يحصل له ، أو تنقص به درجته ؛ فيقضي حاجته ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده .

والمقصود أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر وأنه أرجح منـــه في بيتـــه ومسجده وأوقات الأسحار فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله فإن شأن الله أعظم من أن يقسـم عليـه أو يسأل بأحد من خلقه »[1] .

---

(١)إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (١/٢١٤- ٢٢٣)باختصار .

المطلب الثاني : تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم

لقد صار قصد القبور والمشاهد وتتبع آثار الأنبياء من أهم الأعمال عنـــد كـــثير مـــن المتصوفة حتى بُدِّل الدين ووقعوا في مشابهة المشركين ومنحرفي أهل الكتاب ، فالسفر لزيـــارة الأضرحة وتعظيم الآثار ، وتعظيم الأشجار التي يزعمون أنه صلى عندها نبي أو ولي ، ونحـــو ذلك : أمرٌ اشتهر عند هؤلاء .

نشأة هذه البدعة :

إن التعلق بالأنبياء والصالحين والغلو فيهم وفي آثارهم هو من أسباب حدوث الشـــرك الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم . وقد كان بداية مثل هذا الشرك في قوم نـــوح ولا يزال يتجدد .

وهذه البدعة تظهر نشأها في عهد التابعين عندما رأى عمر أولئك الذين يتتبعون آثـــار النبي صلى الله عليه وسلم في مكان صلاته ، ومكان بيعة الرضوان فقطع عمـــر آثـــار هـــذا الإحداث . ولا يزال يقع في النفوس وتتجدد مثل هذه المخالفات .

ثم زاد الأمر على ذلك حتى وصل الحال بكثير من المنتسبين إلى الإسلام إلى أمور منكرة جداً ، ووقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من غربة الدين ، وعبادة طوائـــف مـــن أمتـــه الأوثان[١] ، واضطراب أليات نساء دوس على ذي الخلصة [٢] ، واتباع سنن من كان قبلنا من الأمم التي وقع فيها التبديل والتحريف والشرك .

والإمام مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة ، أنكروا ما أحدثه بعض الناس من تحري أماكن في المدينة وبعض المساجد غير قباء ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أبوداود (٣٧١٠) ، الترمذي (٢١٤٥) ، ابن ماجه (٣٩٤٢) ، أحمـــد (٢٧٨/٥، ٢٨٤)وأصـــله في صحيح مسلم (٥١٤٤) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(٢)ذو الخلصة : صنم كان يعبد في الجاهلية ، وقد وجد من يعبده ويطـــوف حولـــه في زمـــن قريـــب ، والحديث رواه البخاري (٦٥٨٣) ، ومسلم (٥١٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فقد روى ابن وضاح : أنهم كانوا يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي صلى الله عليه وسلم ، ما عدا قباءً وأحداً [١] .

قال ابن وضاح : وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه، و لم يتبع الآثار، ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدى به، وقدم وكيع أيضاً مسجد بيت المقدس فلم يَعْدُ فعل سفيان ، قال ابن وضاح: فعليكم بالاتباع لأئمـة الهـدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى : "كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس ؛ كان منكراً عند من مضى !! ومتحبب إليه بما يُبَغِّضُه إليه ، ومتقرب إليه بما يبعده منه ، وكل بدعة عليها زينة وبهجة !! "[٢] .

وزاد الأمر وتفاقم الخطب حتى عُظمتْ الأضرحة والمزارات والقبور وصار ترابها عنـد كثير من المتأخرين مباركاً نافعاً مؤثراً ، بل صارت بعض الأشـجار والأحجـار والصـخور مقامات مقصودة تقبل النذر وتشفي المرضى ، وتُقصد للزيارة والجلوس والعكوف ، وصارت المغارات والكهوف والمواضع تحاك لها القصص وتروى الأباطيل بأن هذه المغارة قد مر فيهـا الخضر ، أو جلس عليها نبي ، أو كان فيها رجل صالح ، ثم يزورها بعض المنتسبين إلى العلـم والشيوخ الجهال بالسنة ، ثم العوام والطغام ، فلا تسأل عما يحدث من الشرك الأكبر والتعلـق بغير الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهل هذا إلا مثل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذات الأنواط التي طلـب بعض الصحابة مثلها «إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن مما كان قبلكم » [٣].

إن الأمر الذي وقع فيه المتأخرون أشد بكثير من تعليق الأسلحة على الشجرة تبركاً إنه سلوك سبيل المشركين المبدلين المحرفين .

---

(١)البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٧) .

(٢)البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٧) ص٨٨-٨٩ .

(٣)الترمذي (٢١٨٠) ، أحمد (٢١٨/٥) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: « فانظروا رحمكم الله أينما وجـــدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ، ويعظموها ، ويرجون البرء والشفاء من قِبَلها ، ويضربون بها المسامير والخرق ، فهي ذات أنواط فاقطعوها » (١) .

وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتـــاب «البدع والحوادث»: « ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة : تخليقَ الحيطان والعُمُد، وسَرْجَ مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامـــه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ، ويحافظون عليه مع تضييعهم فـــرائض الله تعالى وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظموها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي من بـــين : عيون ، وشجر ، وحائط ، وحجر .

وفي مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعونية الحما خارج باب توما ، والعمود المخلق داخل باب الصغير ، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحـــديث » ـــ ثم ذكر الحديث المتقدم وكلام الطرطوشي الذي ذكرنا ـــ ثم قال: « ولقد أعجـــبني مـــا صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبنياني رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد أفريقية في المائة الرابعـــة حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد ابن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبـــه عـــين تسمى عين العافية ، كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق ، من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت : امضوا بي إلى العافية ، فتعرف بها الفتنة ، قال أبو عبد الله: فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن » (٢).

---

(١)الحوادث والبدع ص١٨-١٩ .

(٢)الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص٤٠-٤٣، وانظر كلام ابن القيم في جهـــود شـــيخه شـــيخ الإسلام في كسر هذه الأصنام وإزالتها في إغاثة اللهفان (١/٢٤٢) .

وذكر ابن القيم نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: «فما أسرع أهل الشـــرك إلى اتخـــاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة ، وهـــذه العين تقبل النذر!! أي : تقبل العبادة من دون الله ، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له»[١] .

ومن أهم أسباب ذلك الغلو في الصالحين وتتبع آثارهم والتعلق بذلك ، أو ظـــن نفـــع مكان وصلاحيته للدعاء وتحري العبادة .

ومن ذلك ما وقع فيه كثير من الصوفية وغيرهم من استحباب التبرك بذوات الصالحين من ريقهم وعرقهم وثيابهم ونحو ذلك .

وهذا خطأ مخالف للسنة من أوجه :

منها : عدم جواز مقارنة النبي صلى الله عليه وسلم بالصالحين فضلاً عن المســـاواة في الفضل والبركة .

ومنها : أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي صلى الله عليه وسلم لا في حياته ، ولا بعد موته .

ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، فلم يفعلوا ذلك مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ونحوهم ولم يفعل هذا التابعون مع كبارهم وفضلاءهم ، فدل على إجماع القرون المفضلة على أن ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن الأوجه الدالة على عدم جواز مثل هذا أن الشخص الحي لا تؤمن عليه الفتنة وأن يختم له بخاتمة السوء ، والأعمال بالخواتيم .

ومن الأوجه الدالة على المنع من هذه البدعة أن فعل هذا مع غير النبي صلى الله عليـــه وسلم لا يؤمن أن يفتنه ، وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء ، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم .

---

(١)إغاثة اللهفان (١/٢٤٢).

ومن ذلك أن هذا الفعل من أسباب الغلو وهو قد يفضي إلى الشرك كما وقع لكثير من هؤلاء.

ولا يدخل في هذا ما يكون من بركات الصالحين من المنافع الدينية كالأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والقدوة الحسنة ، والمحافظة على الصلوات وحسن أخلاقهم ، والإحسان إلى الآخرين .

ومن ذلك ما يحصل بسبب بركة الصالحين من النصر على الأعداء والبركة في معاشهم ففي صحيح البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» وفي رواية للنسائي : «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها وبدعوهم وصلاهم وإخلاصهم» [1]، ومنه قوله تعالى: â r9ö q& b& ö@÷d& 3"tà)ø9$# (#qãZtB#uä

á bqç7Å¡õ3t (#qçR$Ÿ2 $JÎ/ Mßg»Rõ‹{'sù (#qç/¤‹x. `Å3»s9ur ÇÚö‘F{$#ur ä!$yJ¡¡9$# z`ÏiB ;M»x.t/t÷/ NÍköŽn=tã $uZóstGxÿs9 (#öqs)¨?$#ur

[الأعراف : ٩٦]،فهذا حق و لاشك في ثبوته ولكن لا يقتضي هذا إحداث التبرك بذواهم في حياهم أو بعد مماهم .

وقد جاءت النصوص والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالنهي عن التعلق بغير الله ، فمن ذلك حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"سبحان الله هذا كما قال قوم موسى:â $o_©9 @yèô_$# $Zy»9Î) $yJx. öNçlm; ×pyg#Ï9#uä á [الأعراف :١٣٨] والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم "[2] .

وأخرج ابن وضاح في البدع والنهي عنها من طريق المعرور بن سويد قال : خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة ، فلما أصبحنا صلى الغداة ، ثم رأى النـــاس

---

(١)البخاري (٢٦٨١) ، النسائي (٤٥/٦) ، وانظر : الاعتصام للشاطبي (٨/٢-٩) ، الحكـــم الجـــديرة بالإذاعة لابن رجب، ص٥٥ .

(٢)الترمذي (٢١٨٠) ، أحمد (٢١٨/٥) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

يذهبون مذهباً ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ قيل : يا أمير المؤمنين ، مسجدٌ صلى فيه رسـول الله صلى الله عليه وسلم هم يأتون يصلون فيه ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثـل هـذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذوها كنائس وبيعا ، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها [(١)].

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طريق الأعمش عن المَعْرُور بن سـويد قـال خرجنا مع عمر في حجة حجها ... فلما قضى حجه ورجع ؛ والناس يبتدرون ، فقال : مـا هذا ؟ فقالوا : مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا هلـك أهـل الكتاب ؛ اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا ، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل [(٢)].

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين قال : كـانوا يكرهـون أن يعتروا [(٣)] آثار الأنبياء .

وأخرج ابن وضاح عن نافع مولى ابن عمر قال أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصـلون تحتـها ، فخاف عليهم الفتنة [(٤)] .

وروى الإمام أحمد في المسند أن عمر رضي الله عنه كان بالجابية... فذكر فتح بيـت المقدس ... فقال لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر : ضاهيت اليهودية ؛ لا ولكن أصلي حيث صلى

---

(١)البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٤-١٠٧) .

(٢)المصنف لابن أبي شيبة (١٥١/٢ رقم٧٥٥١) .

(٣) كذا في المطبوع وفي اللسان (٥٥٧/٤) :"واعتره ، واعتر به ؛ إذا أتاه فطلب معروفه " ، أو أنها محرفة من كلمة (يتبعوا) .

(٤)البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٧) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :«فعمر رضي الله عنه عاب على كعب الأحبار مضـــاهاة اليهودية أي مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقيـــة وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها ، وقد كان لعمر رضي الله عنـــه في هـــذا البـــاب مـــن السياسات المحكمة ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية » [٢] ، ولما خاف عمر بـــن الخطـــاب رضي الله عنه من مثل هذه الاعتقادات الفاسدة جاء إلى الحجر الأسود فقبله وقال :" إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " [٣]

وقد أنكر ابن عباس على معاوية رضي الله عنهما لما استلم الأركان الأربعة من البيـــت فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه طاف مع معاوية رضي الله عنـــه بالبيت فجعل معاوية يستلم الأركان كلها فقال له ابن عباس لم تستلم هذين الركنين و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما فقال معاوية ليس شيء من البيت مهجورا فقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقال معاوية : صدقت [٤] .

وأنكر قتادة رحمه الله على الذين يمسحون مقام إبراهيم ، كما ذكر الأزرقي في كتاب تاريخ مكة عن قتادة في قوله تعالى :â (#rä/B$ `B)$Q ŷ• Ü¿O ÁB ?' á [البقرة :١٢٥] ، قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً مما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه ، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى [٥] .

(١)أحمد (٣٨/١) .
(٢)اقتضاء الصراط المستقيم (٣٣٦/١) .
(٣) البخاري (١٤٩٤) ، مسلم (٢٢٣٠) .
(٤)البخاري (١٤٩٤) ، أحمد (٢١٧/١) .
(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٥٣٧/١) ، وأخرجه الأزرقي في تاريخ مكة (٤٠/٢) .

وروي عن مجاهد وعطاء النهي عن تقبيل المقام ومسه [1].

فهذه بعض الآثار عن الأئمة المتقدمين في إنكار هذه البدع في أوائل حدوثها ، وبناء على ما تقدم يتضح بطلان هذه البدعة التي يتمسك بها كثير من الصوفية ، والله المستعان .

(١) المصنف لعبد الرزاق (٨٩٥٧) ، المصنف لابن أبي شيبة (٦١/٤) .

المطلب الثالث : بدعة السماع

المراد به التقرب إلى الله تعالى بسماع أناشيد وأبيات غزلية أو وعظية ملحنة فيها ذكر الهجر والوصل ، والقرب والبعد ، والعذاب والملامة ، والعذل واللوم ، والحـب والعشـق ، والحبيب والمعشوق ، والقدود والخدود ، والحسن والجمال ، والخمر والكـؤوس ، والسـاقي والسيقان ، مع الآلات وبدونها مكاء وتصدية وهذا حال هؤلاء الصـوفية وهـذا سمـاعهم ويعرضون عن سماع القرآن والأحاديث .

نشأة هذه البدعة :

وهذا إنما أحدث في أواخر المائة الثانية كما تواتر عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال: خَلَّفْتُ ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه " التغبير " يصدون به الناس عن القرآن [(١)].

ونقل أبو بكر الطرطوشي عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال في الغناء: (إنما يفعله عندنا الفساق » [(٢)] وقال يزيد بن هارون : ما يُغَبِّر إلا الفاسق ومتى كان التغبير .

وسئل عنه الإمام أحمد فقال : أكرهه هو محدث . قيل : أنجلس معهم ؟ قال : لا [(٣)].

وأما الصوفية فيرونه ديناً وقربة وعملاً صالحاً !!

بل ربما صاحب ذلك الرقص في بعض الأحيان ، يقول أحد هؤلاء : « الـرقص عنـد الصوفية تعبيرات الأعضاء ، وهو مما جرى عليه الشيوخ قرناً بعد قرن ، وتجويزه كان بناء على كونه : «عليه الجمهور ! واتفق عليه الصوفية ، وبه عمل الناس شرقاً وغرباً !!» » [(٤)]" .

ويجوّزون آلات الطرب في هذه المجالس وهي عندهم مما يعين على الذكر !! [(٥)]

---

(١)التصوف والمجتمع لعبد اللطيف الشاذلي ص ١٠٥ .

(٢) نقل ذلك ابن قيم الجوزية عن كتاب السماع للطرطوشي في إغاثة اللهفان (١ /٢٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٦٩/١١) .

(٤) إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (١ /٢٣٩) .

(٥)الحاوي في فتاوى عبد الله بن الصديق الغماري ص٢٨ .

ويذكرون في سماعهم وغنائهم الغلمان والخمور والكؤوس والخدود والقدود، وزعموا أهم عنوا ها معاني مجازية ، وأثنوا على الأوتار والمعازف .

ومن ذلك قول عبد الغني النابلسي في ديوانه :

تجلى وجه محبوبي	وهذا كل مطلوبي
فيا نار العدا ذوبي	بعيد عنك مشروبي

ومن ذلك قوله :

علينا الخمر قد دارت	ها ألبابُنا حارتْ
وأطيار الهوى طارت	بترتيب وأسلوبِ

وأجازت الطريقة الميلوية عند الإنشاد العزف على الآلات الموسيقية على اختلاف أنواعها ، وفي الحضرة يرقص المردان ، وهم يلبسون الفوط كالخراطات النسائية .

وينـــثنون ويتمايلون على أنغام الآلات الموسيقية مما يثير الشـــهوات ويحـــرض علـــى الفواحش [١] ، ويقول د. زكي مبارك : إن مجالس الصوفية كانت تنقلب أحياناً إلى مجالس فنية الغرض منها الغناء ، وكانت مدارس لتخريج المغنيين !! [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

" وأما سماع المكاء والتصدية : وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية ، سواء كـــان بكفٍّ ، أو بقضيب ، أو بدف ، أو كان مع ذلك شبابة ؛ فهذا لم يفعله أحد من الصــــحابة لا من أهل الصفة ولا من غيرهم ؛ بل ولا من التابعين ، بل القرون المفضلة التي قال فيهـــا الـــنبي صلى الله عليه وسلم : "خير القرون الذين بعثت فيهم ثم الذين يلوهم ثم الذين يلـــوهم "[٣] لم

---

(١)التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (٢/١٨٩-٢٠٠) (٢/٢٦١) (٢/٢٧٨) ، وانظر : الكشــف عن حقيقة الصوفية ص٣٤٢-٣٤٧ .

(٢)التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (٢/٢٦٧ - ٢٦٨) .

(٣)أخرجه البخاري(٢٤٥٨) ، ومسلم (٤٥٩٩) عن ابن مسعود بنحوه .

يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع ، لا في الحجاز ، ولا في الشام ، ولا في اليمن ، ولا العراق ، ولا مصر ، ولا خراسان ، ولا المغرب .

وإنما كان السماع الذي يجتمعون عليه سماع القرآن ، وهو الذي كان الصحابة من أهل الصفة وغيرهم يجتمعون عليه ؛ فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمـــروا واحداً منهم يقرأ والباقي يستمعون" [1].

وذكر رحمه الله أن ما يُنقل من استماع بعض الصحابة للحداء بقصد صلاح القلوب أو أنهم تواجدوا لأجل ذلك : كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم .

وقال أيضاً :

" أما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة . قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله : âÌr'é&7 Í»9r'é&$`ƒÏ%©!$#ªNèdâ`ÏB $ÇÍºuš³Î) ÏM‹ÍhŠè ô`ÏBur y8qçRxì B $oYù=uHxq ô`£JÏBur ÏŠ#uä `Ï`B z ÍÍâ•è)) ä ([مريم :٥٨] ، وقال : âr #sŒÎ)ur ôMu‹Î=è? öNÍköŽn=tã ¼çmçG»tƒ#uä öNåkøEyŠ#y— $YZ»yJƒÎ) 4’n?tãr ... [الأنفال :٢] ...

وبهذا السماع أمر الله تعالى كما قال تعالى : âr #sŒÎ)ur uä̍è% ãb#uäöà)ø9$# (#qãèÏJtGó™$$sù ¼çms9 ... [الأعراف :٢٠٤] ، وعلى أهله أثنى كما في قوله تعالى : âŠ$7Ïã ÷ŽÅe³t6ù ... [الزمر :١٧-١٨]. وقال في الآية الأخرى : â óOn=sùr& (#rã/£‰tƒ tAöqs)ø9$# ... [المؤمنون :٦٨] فالقول الذي أمروا بتدبره هو القول الذي أمروا باستماعه . وقد قال تعالى : âŸxsùr& tbrã/y‰tFtƒ šc#uäöà)ø9$# 4’n?tã ... [محمد :٢٤] ...

(١) مجموع الفتاوى (٥٨/١١) .

وكما أثنى على هذا السماع ذم المعرضين عن هذا السماع ؛ فقال تعالى :â 4?Gê #Œ]r

Ïœã #Yç/f$Yç 4?r ãó6 Éæ6 #Ÿ[æ b(. ô©b(. „ójèg$ .b(Îpî ÏéÉéŽé Ïmø #Xør á [لقمان :٧] ، وقال تعالى : â

r%A@%ïû .ÿÿr‹ ÿw ÿóJãq‹]Ïl »‹#$û¨ä#ã b# Ñ‹ó‹ø‹ ŠiÏ ëß‹ø ...Ù¡ç? ød§qb á [فصلت :٢٧] ، وقال تعالى

â:r%A@qß'qA ƒ»• Ée b] ÿç'$Bƒ ärÿ d»‹#$û¨ä#b Bĝ aãY# á [الفرقان :٣٠] ...

وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى : يا أبا موسى ؛ ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون .

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ علي القرآن قلت : أقرؤه عليك وعليك أنزل ! فقال : "إني أحب أن أسمعه من غيري " . فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية . â ùß# #Œ]) A¥Z$ `Ï ä@è.Bp ±Î‹ĝ‹%‰ r A¥Z$ Î7

ã?4 d‹¾wä -Î‹%‰ #% á [النساء :٤١] قال : "حسبك " فنظرت فإذا عيناه تذرفان [1] ...وأما « سماع المكاء والتصدية » وهو التصفيق بالأيدي والمكاء مثل الصفير ونحوه ، فهذا هو سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله : â rB$. %b ¹ |ÿNæè Ÿ‰$%M##ß7 Ïž]ì Ÿ6 !$[r?Á‰%ÿ[á

[الأنفال :٣٥] فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قربة وديناً . ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ، ومن قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك ، فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته ...

وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف .

(١)البخاري (٤٢١٦) .

كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمـــة لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ، ولا لعامي ولا لخاصي ، ولكن رخّص النبي صلى الله عليه وســـلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح. وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : " التصفيق للنساء والتسبيح للرجال "(١) ، و " لعن المتشبهات من النســاء بالرجال . والمتشبهين من الرجال بالنساء "(٢) .

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثا ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور في كلامهم ... "(٣) .

ويبين رحمه الله سبب ضلالهم في هذا السماع المحدث الذي أحدثوه : أن هذا السماع المحدث مجمل ليس فيه تفصيل ؛ فإن الأبيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعــة والشوق والتتيم والصبر على العذل واللوم ونحو ذلك ، هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الأوثان ، ومحب الإخوان ، ومحب الأوطان ، ومحب النسوان ، ومحب المـــردان ، فقـــد يكون فيه منفعة إذا هيج القاطن وأثار الساكن ، وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله ، لكن فيـــه مضرة راجحة على منفعته ، كما في الخمر والميســـر فـــإن فيهمـــا â ÑÜ) ÖÏŸY2 ßÎjy»YBr $Z-Ï Ä

ÏJßgßJøO) ¨$¨Z=Ï9 ìÆÿ»uZtBur ÇŽç9ò2r& `ÏB $yJÎgÏèøÿ¯R á [البقرة : ٢١٩] .

فلهذا لم تأت به الشريعة لم تأت إلا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة ، وذلك أنه يهـــيج الوجد المشترك فيثير من النفس كوامن تضره آثارها ، ويغذي النفس ويفتنها فتعتاض به عـــن سماع القرآن ، حتى لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا التذاذ به ولا استطابة له بل يبقـــى في النفس بغض لذلك ، واشتغال عنه ، ومن نكته أن الصوت يؤثر في النفس بحسنه فتارة يفرح ، وتارة يحزن ، وتارة يغضب ، وتارة يرضي ، وإذا قوي أسكر الروح فتصير في لذة مطربة مـــن

---

(١)البخاري (١١٢٦) مسلم (٦٣٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٢)البخاري (٥٤٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٣)مجموع الفتاوى (١١/٥) .

غير تمييز ، كما يحصل للنفس إذا سكرت بالرقص للجسد أيضاً إذا سكر بالطعام والشـــراب ، فإن السكر هو الطرب الذي يؤثر لذة بلا عقل ، فلا تقوم منفعته بتلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل التي صدت عن ذكر الله وعن الصلاة وأوقعت العداوة والبغضاء [(١)].

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى :

« ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والـــدين وصدّ بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة ، الذي يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان ، فهو قرآن الشيطان ، والحجـــاب الكثيف عن الرحمن ، وهو رقية اللواط والزنا ، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى ، كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحسنه لها مكراً منه وغروراً ، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً ، فلو رأيتهم عند ذيـــاك الســـماع وقـــد خشعت منهم الأصوات ، وهدأت منهم الحركات ، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وانصبت انصبابة واحدة إليه ، فتمايلوا ولا كتمايل النشوان ! وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ؛ أرأيت تكسر المخانيث والنسوان ! ويحق لهم ذلك وقد خالط خمارة النفوس ففعل فيها أعظم مما يفعله حميا الكؤوس ، فلغير الله بل للشيطان قلوب هناك تُمَزّق ، وأثواب تُشقّق ، وأمـــوال في غـــير طاعة الله تنفق ، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله ، وبلغ الشـــيطان منـــهم أمنيتـــه وأملـــه ، واستفزهم بصوته وحيله ، وأجلب عليهم برجله وخيله ، وخز في صدورهم وخزاً ، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزّاً ، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار ، وتارة كالـــذباب تـــرقص وسيط الديار ، فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام ! ويا سوأتاه من أشباه الحمير والأنعام ! ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام ...»[(٢)].

(١)مجموع الفتاوى (١١/٥٩٣-٥٩٤) باختصار .

(٢)إغاثة اللهفان (١/٢٥٤) ، وانظر الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٥٠ .

قال الطرطوشي رحمه الله تعالى : « الرقص دين الكفار ، وعباد العجل ، وإنما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ...» [(١)] .

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : « وأما الرقص والتصفيق : فخفة ورعونة مشبهةلرعونة الإناث ، لا يفعلها إلا راعن أو متصنع كذاب » [(٢)].

وقال السويدي رحمه الله تعالى: « ومن البدع المنكرة : ما يستعمله المتصوفة من أذكار اشتملت على الدفوف والطبلات والغناء وأنواع الرقص ، ويسمونه حالاً ، وتراهم يعملون ذلك ، ومغنيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على ما لا يرضي الله تعالى ، ويحضره الفسقة والمرد والنساء ، فيحصل من ذلك ما تظهر به شعائر الفسق والعصيان ...» [(٣)].

نعم ؛ والله لقد صدوا عن سبيل الله تعالى ، وشوهوا وحرفوا الدين بهذه المنكرات والقبائح ، فيا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام .

---

(١) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، مطبوع بهامش كتاب الزواجر لابن حجر الهيتمي (٥٢/١).

(٢) قواعد الأحكام (٢٢٠/٢) .

(٣)العقد الثمين في بيان أصول الدين للسويدي ص ٧٢٥-٧٢٦ .

المطلب الرابع : بدع الذكر :

ذكر الله تعالى من أجل العبادات وأفضل الطاعات ، وأفضل الذاكرين هو رســول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يذكر الله تعالى على كل أحيانه ، واقتدى بــه أصـــحابه وأتباعهم بإحسان رضي الله عنهم ، ولكن حصل انحراف لبعض الناس في هذه العبادة الجليلـة بأنواع من الغلو والزيادة عن الأمر المشروع ؛ مثل الذكر الجماعي والــذكر بالاســم المفــرد والصعق والغشي وغير ذلك .

١- بدعة الذكر الجماعي :

المقصود بها الاجتماع لأداء الذكر بطريقة موحدة ومرتبة وبصوت جماعي مشترك .

نشأة هذه البدعة :

لبيان أول ما وقعت هذه البدعة في الإسلام أورد ما رواه الدارمي رحمه الله في ســننه : أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال لابن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبد الــرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ، ولم أر والحمد لله إلا خيراً ، قال : فما هو ؟ فقــال : إن عشت فستراه .

قال : رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة ، في كل حلقة رجــل ، وفي أيديهم حصى ، فيقول :كبروا مائة ، فيكبرون مائة ، فيقول : هللوا مائة ، فيهللون مائة ، ويقول : سبحوا مائة ، فيسبحون مائة ، قال : فماذا قلت لهم ؟ قال : ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظار أمرك ، قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم أن لا يضــيع مــن حسناتهم ، ثم مضى ومضينا معه ، حتى أتى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم ، فقال : مــا هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصىً نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال : فعدّوا سيئاتكم ! فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم ! يا أمة محمد ... ما أسرع هلكتكم ؟ هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تَبْــلَ وآنيته لم تُكْسر ، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ؛ أَوْ مفتتحو باب ضلالة ! قالوا :والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال :وكم من مريد للخير لن يصيبه ؛

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا : " أن قوماً يقرءون القرآن ، لا يجاوز تـــراقيهم " ، وَايْم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة : رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج "(١).

وفي رواية أخرى من طريق عطاء بن السائب عن أبي البختري قال أخبر رجل عبد الله ابن مسعود أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول :كبروا الله كذا وكـــذا ، سبحوا الله كذا وكذا ، واحمدوا الله كذا وكذا . قال عبد الله : فيقولون ؟ قال : نعم ؛ قال : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فأتاهم وعليه برنس له ، فلما سمع ما يقولون قام وكان رجلاً حديداً فقال : أنا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ، ولقد فَضَلْتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علماً ، فقال معضد : والله ما جئنـــا ببدعة ظلماً ولا فَضَلْنا أصحاب محمد علماً ، فقال عمرو ابن عتبة : يا أبا عبد الرحمن ؛ نستغفر الله ، قال : عليكم بالطريق فالزموه ، فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً ... (٢) .

وسيأتي توسع الصوفية في هذه البدعة وتطورها عندهم ، في الفقرة الآتية .

---

(١)سنن الدارمي (١/٧٩) .

(٢)الحلية لأبي نعيم (٤/٣٨٠-٣٨١) ، وأخرج هذه القصة ابن وضاح في البدع والنهي عنها مـــن وجـــه آخر مختصر (١٤ ، ٢١-٢٢ ، ٢٧).

٢- بدع الصعق والغشي

مثل الرقص والقفز والتمايل والسقوط والصياح والرعدة عند الذكر ونحها ، وهي أمور عارضة ناشئة عن الضعف ، والبدعة اعتقاد فضلها والرضا بها والثناء على من فعلها ، وأول ما حدثت هذه البدعة في عهد التابعين ، وقد أنكر ابن سيرين وغيره من أهل العلم على من فعـــل ذلك .

فعن عمرو بن مالك قال : بينما نحن يوماً عند أبي الجوزاء يحـــدثنا إذ خـــرّ رجـــلٌ فاضطرب ، فوثب أبو الجوزاء فسعى قبله ؛ فقيل : يا أبا الجوزاء إنه رجل به الموت ، فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين ، ولو كان منهم لأمرت به وأخرجته من المســـجد ، إنمـــا ذكرهم الله فقال تفيض أعينهم وتقشعر جلودهم [١].

٣- بدعة الذكر بالاسم المفرد أو المضمر :

ينقسم الذكر عند الصوفية إلى ذكر للعامة وذكر للخاصة !! فذكر العامة هو الوارد في السنة مثل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، و الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ونحو ذلك . وأما ذكر الخاصة فهو قول الذاكر : الله ، الله ، أو هُوْ هُوْ هُوْ ، أو حَيّ حَيّ حَيّ ، ونحو ذلك ، يقـــول أحـــد الصـــوفية المعاصرين : " يعتبر أئمة السير إلى الله ؟ ! ذكر اسم الله المفرد أقرب طريق للوصول إلى المعرفة الذوقية لله ، والوصول إلى مقام الإحسان "[٢] ، ويقول :"وإني بفضل الله مع إني مأذون علـــى طريقة الصوفية بتلقين الأوراد عامة ، بتلقين الاسم المفرد " [٣].

---

(١)الحلية لأبي نعيم (٨٠/٣) يشير إلى قوله تعالى : [illegible] وإلى قوله تعالى : [illegible] (المائدة :٨٣) وإلى قوله تعالى : [illegible] (الزمر :٢٣)، وانظر الآداب الشرعية لابن مفلح (٣١٩/٢-٣٢٣) .

(٢)كتاب تربيتنا الروحية لسعيد حَوّى ص٢٩٧ ، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي (٢٠٩/١).

(٣)كتاب تربيتنا الروحية ص ١٦ ، وانظر ص ١١٤-١١٥ .

وعمدتهم في ذلك طلب تفريغ الخاطر من الواردات ، وجمع القلب حتى تستعد النفس لما يترل عليها ، وقد خفي على هؤلاء أن الوارد الشرعي الديني ممنوع ومحظور على من لم يأت من الباب النبوي والطريق المحمدي ، وأن السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، والاسم المفرد مظهراً أو مضمراً ليس بذكر ولا كلام ، ولم يرد ما يدل على مشروعيته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهي ، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ، ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالاً نافعاً ، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات ؛ فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه ، وإلا لم يكن فيه فائدة .

والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره . وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد . كما قد بسط في غير هذا الموضع . .... فإن من قال : يا هو يا هو ، أو : هو هو . ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدي وقد يضل ، وقد صنف صاحب " الفصوص " كتابا سماه كتاب « الْـهُوْ »..... والله تعالى لا يأمر أحداً بذكر اسم مفرد ، ولا شرع للمسلمين اسماً مفرداً مجرداً ، والاسم المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام ، ولا يؤمر به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات ....

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قال في يومه مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه "(١) . و "من قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر " (٢) ... وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى :

---

(١) البخاري (٣٢٩٣) ، مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

(٢) البخاري (٦٤٠٥) ، مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

â ẅr ü 2 èq) ËB$ 9ÓãŏÃ .í$™ÕÐ$ » ãøïá [الأنعام :١٢١] ، وقوله : âùèq) Ê$ B¡ Ó` æøãN
r$Õ ã Õô$L$ » ãøïá [المائدة :٤] إنما هو قوله : بسم الله ...وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاقم وأذاهم وحجهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى إنما هو بالجملة التامة . كقول المؤذن : الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله ؛ أشهد أن محمداً رسول الله . وقول المصلي : الله أكبر . سبحان ربي العظيم . سبحان ربي الأعلى . سمع الله لمن حمده . ربنا ولك الحمد . التحيات لله . وقول الملبي : لبيك اللهم لبيك . وأمثال ذلك . فجميع ما شرعه الله من الذكر إنما هو كلام تام . لا اسم مفــرد لا مظهــر ولا مضــمر ... والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره " بجملة تامة " وهو المسمى بالكلام ، والواحد منه بالكلمة ، وهو الذي ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب والأجر والقــرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية .

وأما الاقتصار على " الاسم المفرد " مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين ؛ بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضــلالات ، وذريعــة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد " (١) .

الداعي لهذه البدعة عندهم :

سبب فعل الصوفية لهذه البدعة ليس هو تعظيم الله ولا اتباع النصوص الشرعية ، وإنما هو حيلة شيطانية ، يقول ابن تيمية : " ولهذا صار من يأمر به من المتأخرين يبين أنــه لــيس مقصودنا ذكر الله تعالى ، ولكن جمع القلب على شيء معين ؟ ! حتى تستعد النفس لمــا يــرد عليها ... وأبلغ من ذلك من يقول : ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان ، حتى يقول : " لا فرق بين قولك يا حي ، وقولك : ياجحش " !! وهذا مما قاله لي شخص وأنكــرت ذلك عليه ، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتترل عليها الشيطان " (٢) .

---

(١)مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٦-٢٣٣) .

(٢)مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٦-٣٩٧) .

شبه يحتجون بها على بدعة الذكر المفرد :

١-احتجاج بعضهم على ذلك بقوله تعالى : â È@ª! $# ¢OèO öNèdö‘sŒ ’Îû öNÎgÅÊöqyz tbqç7yèù=tƒ á [الأنعام :٩١] وهذا من أبين غلط فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام . وهو قوله : â ö@è% ô`tB tA“t“Rr& =»tGÅ3ø9$# “Ï%©!$# uä!%y` ¾ÏmÎ/ 4Óy›qãB $Y‘qçR “W‰èdur á إلى قوله â È@ª! $# á أي : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول : من جاره ؟ فيقول : زيد .

٢-" وزعم بعضهم أن قوله : â $tBur ãNn=÷ètƒ ÿ¼ã&s#ƒÍrù's? žwÎ) ª! $# á [آل عمران :٤] معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو " الهو " . وقيل هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء . حتى قلت مرة لبعض من قال شيئاً من ذلك : لو كان هذا كما قُلْتَه لكُتِبَتْ « وما يعلم تأويل هو »منفصلةً "[1] .

٣- واحتج بعضهم بما في القرآن من قوله : â Ìä.øŒ$#ur zOó™$# y7În/u‘ ö@Gu;s?ur Ïmø‹s9Î) Wx‹ÏFö;s? á [المزمل : ٨] وقوله : â ËxÎm7y™ zOó™$# y7În/u‘ ’n?ôãF{$# á [الأعلى : ١] وقوله : â ô‰s% yxn=øùr& `tB 4’ª1t“s? ∩⊇⊆∪ tx.sŒur zOó™$# ¾ÏmÎn/u‘ 4’©?|Ásù á [الأعلى :١٤-١٥] وقوله : â ôxÎm7|¡sù ËLôœ$$Î/ y7În/u‘ ËLìÏàyèø9$# á [الواقعة :٩٦] ونحو ذلك قالوا فهذا أمر بذكر الاسم وهو يصدق على من قال : الله الله الله .؟![2]

وهذا باطل فإن الآيات التي فيها الأمر بذكر اسم الله تعالى لا تقتضي ذكره مفرداً ... فتسبيح اسم الرب الأعلى ، وذكر اسم الرب ونحو ذلك ، هو بالكلام التام المفيـــد كمـــا في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أفضل الكلام بعد القرآن أربع - وهن من القرآن – سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر "[3]، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم

---

(١)مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٧-٢٢٨) .

(٢) هذه الحجج يذكرها الآن غالب من يدعي الاعتدال في التصوف ، كصاحب كتاب التصـــوف بـــين الإفراط والتفريط ص٢٢٠-٢٢٣ .

(٣)مسلم (٣٩٨٥) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

أنه قال : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : ســبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "[١] .

٤ - اعتماد أدعية لم ترد واتخاذها سنة :

وهذا كثير في أدعية الصوفية ، كالقول الذي يروى عن إبراهيم بن أدهم : اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة فما دونها !! إذا أنت وهبت لي حبك ، وآنســتني بمذاكرتك ، وفرغتني للتفكر في عظمتك ،فأعط الجنة لمن شئت!! [٢] .

ودعاء الصاحب : اللهم ارزقني علم الخائفين ، وخوف العاملين ، ويقين المتــوكلين ، وتوكل الموقنين ، وشكر الصابرين ، وصبر الشاكرين ، وإخبات المنيبين ، وإنابــة المخبــتين ، وزهد الصادقين ، وألحقني بالشهداء ، والأحياء المرزوقين آمين يا رب العالمين !! [٣] .

وأدعية أخرى كثيرة مخترعة بعيدة كل البعد عن أدعية النبي صلى الله عليه وسلم الــتي اشتملت على جوامع الدعاء ، وكان صلى الله عليه وسلم يستحب جوامع الدعاء ويدع مــا سواه .

ومن العجيب انتشارها والرغبة فيها أعظم من الرغبة فيما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وأعجب من ذلك زعم بعضهم تلقي هذه الأذكار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاهاً كما قال أحدهم :

أوراده من رسول الله قد رويت   كذا أفعاله والسر مأثور

فيجمعون بين الكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين الافتــراء على الإسلام ، والصد عن سبيل الله تعالى ، والإحداث في الدين ، والتبديل للشريعة .

ثم تطورت بدع الذكر عندهم حتى وصل الأمر إلى أدعية فيها توسلات مخترعة ، وكلمات مبهمة ؛ تدل على الاستغاثة بغير الله ، وتعظيم الجن وغيرهم بسؤالهم وندائهم !!

---

(١)البخاري (٥٩٢٧) ومواضع أخرى ، مسلم (٤٨٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢)حلية الأولياء (٣٥/٨-٣٦) .

(٣)حلية الأولياء (٧٠/٨) ، وانظر دعاء ذي النون المصري العابد في الحلية (٣٣٢/٩) .

فمن أوراد الطريقة الشاذلية التي تلقاها ابن إدريس وأخذها عن شيخه ، وقد زعم ابن إدريس أنه تعلمها مشافهة من النبي حال اليقظة لا حال المنام..!! وهذا من أبين الكذب .
وهذا نص الدعاء المفترى وهو عجيب وغريب :
"بكهيعص كفيت ، بحمعسق حميت ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ،اللهم أمّنا من كل خوف وهم وغم وكرب، كد كد كردد كرده ده ده ده ده !! الله رب العزة كتب اسمه على كل شيء أعزه ، خضع كل شيء لعظمة سلطانه ، اللهم أخضع لي جميع من يراني من الجن والإنس والطير و الوحوش والهوام"!! طهور بدعق محببة صورة سقفاطيس سقاطيم آحون ق أدم حم هأ يا هو يا غوثاه يا من ليس للراجي سواه بما في اللوح من اسم خفي وبالذكر الحكيم وما تلاه وبالقبر الشريف وزائريه وبالقدس العلي وما حواه تقبل ربنا منا دعانا"!!

ومن ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة عند الطائفة التيجانية بصـــلاة الفاتح وصيغتها : «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » ، وزعموا أيضـــا أن هذه الصلاة نزلت من السماء. فقد قال الفوتي الطوري مؤلف كتاب « رماح حزب الرحيم » : " ويجب أن يعتقد الذاكر أنها من كلام الله "(١).

وقال مؤلف كتاب - الدرة الخريدة : " ويعتقد المصلي أنها في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمرو بل هي من كلامه سبحانه وتعالى "(٢) .

وقال صاحب الجواهر :

" إنها لم تكن من تأليف البكري ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة المكتوبة في صحيفة النور ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها مكتوبة في صحيفة من النور ، ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا

---

(١)رماح حزب الرحيم (٢/١٣٩)، وانظر طبقات الشعراني (١/١٤٥) .
(٢)الدرة الخريدة (٤/١٢٨) .

تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة !! قال الشيخ : وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الأعظم فقلت : إنها أكثر منه ، فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة "(١).

وقال في بيان فضلها:

"وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق إلخ.. فقد سمعت شيخنا يقول : كنت مشتغلا بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها، وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة ، كما هو في وردة الجيوب ، وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً ، قال : إن من ذكرها و لم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها ، وهي « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاما يعدل سلامهم» ، ولما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرني بالرجوع صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها؟ فأخبرني أولاً : بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات !! ثم أخبرني ثانياً : أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار "(٢) .

فانظر كيف هذا الإعراض عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابتة عنه في صفة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد علّم أصحابه هذه السنة كما في البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ؛كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؛ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم

---

(١)جواهر المعاني (١/ ٩٦).

(٢)جواهر المعاني (١/٩٤) .

قال صلى الله عليه وسلم :" قولوا اللهم صل على محمد ،وعلى آل محمد ؛ كما صليت علـــى إبراهيم ،وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ،وعلى آل محمد ؛ كمـــا باركت على إبراهيم ،وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد "[١] .

وهذا من آثار بدعهم الشنيعة فقد تدرجت البدع عندهم من إحـــداثات صـــغيرة ، ثم زادت وعظمت حتى صارت لهم أحزاب وأوراد ولكل شيخ حزب خاص وطريقـــة ، ثم إلى كلام كفري شركي مخرج من الملة نسأل الله العافية والسلامة .

فرحم الله الإمام أحمد حينما سأله أبو بكر الأثرم : بماذا أدعو بعد التشهد ؟ فقال : بما جاء في الخبر ، قلت له : أو ليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ثم ليتخير من الدعاء ما شاء " ، قال : يتخير مما جاء في الخبر ، فعاودته ، فقال : ما في الخبر [٢].

وهذا من الإمام أحمد بيان لعظم السنة والأدعية النبوية والحذر من التوسع في غيرهـــا ؛ لمثل هذا وغيره صار إمام أهل السنة والجماعة .

وقد ورد عن الأئمة وعلماء هذه الأمة ما يؤكد ما ورد من النصوص في لزوم الأدعيـــة النبوية وكل هذا التشديد في أمر السنة ولزومها حذراً من البدع التي إذا فتح بابها فلا نهاية له ، والله المستعان .

قال القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله سبحانه :(#qãã$â ‘/ ßã Ö ¾æ¨Ø r þSÿ2ä ¼çRÎ) ẅ ïtã=

ïÉ‰tGè÷ßJø9$# ú šá [الأعراف : ٥٥] :

« والاعتداء في الدعاء على وجوه منها : الجهر الكثير والصياح كما تقدم ...

ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة فيتخير ألفاظاً مفقرة ، وكلمات مسجعة ، قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا معول عليها ، فيجعلها شعاره ، ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء » [٣] .

---

(١)البخاري (٣١١٩)، مسلم (٦١٤) .
(٢)ذم الكلام للهروي (١١٠/٣) .
(٣)تفسير القرطبي (٢٢٤/٧) .

قال الشيخ أحمد القصير :

" وقد أقر عدد من الصوفية المعاصرين بوجود شبه كبير بين الذكر عند الصوفية والذكر عند بعض أصحاب الوثنيات القديمة.

يقول مصطفى محمود – وهو من الصوفية المعاصرين :" المتصوف واليوجي والراهب كلهم على درب واحد ، وأصحاب منطق واحد ، وأسلوب واحد في الحياة ، هو الزهد ، واليوجي والراهب والصوفي المسلم يطلبون القرب والوصول بنفس الأسلوب ، بالتسابيح ، فيدعون الله بأسمائه ، وهناك يوجا خاصة بالتسابيح ، اسمها «المانترا يوجا»، يضع اليوجي في عنقه مسابح طويلة ، من ألف حبة ".

وقال عبدالقادر عطا: "والذي نراه أن هناك وجوها من الشبه قوية بين الطريقة النقشبندية ، وبين اليوجا الهندية ، وحبس النفس في الطريقة النقشبندية ، والتنفس العميق في اليجا من وجوه الشبه البارزة بينهما، وتركيز المعاني في أجزاء من أجهزة الجسم الباطنة ، بغية سريانها في جميع أنحاء الجسد عمل مشترك بين اليوجا والنقشبندية " [١].

---

(١)وحدة الوجود عند الصوفية ص٣٣٤ .

المطلب الخامس : الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

نشأة هذه البدعة :

المشهور أن أول من أحدثه بالقاهرة العبيديون ، كما ذكر ذلك المقريزي وغيره ، وقيل : إن أول من أقام المولد هو الملك المظفر « طغرل » :أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني ، صاحب إربل بالعراق ، وقد توفي عام ٦٣٠هـ [١]،وقيل في نشأة هـذه البدعة غير ذلك .

وقد وصف ابن العماد الحنبلي ما يصنعه سلطان إربل من التوسع في هـذا الاحتفال والمبالغة فيه قال: «وأما احتفاله بمولد النبي فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به ! لكن نذكر طرفاً منه ، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه ، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي ؛ خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر منها قبة له ، والباقي للأمراء وأعيان دولته ، لكل واحد قبة ، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة **وقعد في كل قبة جوق من المغاني ، وجوق من أرباب الخيال ،ومن أصحاب الملاهي ،ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات في كل قبة حتى رتبوا فيها جوقا ، وتبطل معايش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم** ، وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان ، فكان مظفر الدين يترل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف عليها قبة قبة إلى آخرها ،ويسمع غناءهم ، ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع ... فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيراً زائداً عن الوصف ، **وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي...** فإذا

---

(١)انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١١٣/٤- ١١٩) ، سير أعلام النبلاء (٣٣٤/٢٢) ، شذرات الذهب لابن العماد (١٣٨/٥-١٤٠) .

كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم يترل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير ، وفي جملتها شمعتان أو أربع ــ أشك في ذلك ــ من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل ؛ حتى ينتهي إلى الخانقاه ، **فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر** ، فيترل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده... فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعود إلى بلده ، فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة ، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية في حرف العين وصوله إلى إربل وعمله إلى « كتاب التنوير في مولد السراج المنير » لما رأى اهتمام مظفر الدين به ، وأنه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة !! »[1] .

ويقول المقريزي رحمه الله :" ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم " ، قال : " وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي مواسم(رأس السنة)،ومواسم (أول العام)،(ويوم عاشوراء) ،(ومولد النبي صلى الله عليه وسلم) ، (ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، (ومولد الحسن والحسين عليهما السلام)، (ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام)،(ومولد الخليفة الحاضر)، (وليلة أول رجب) ، (ليلة نصفه) ، (وموسم ليلة رمضان) ، (وغرة رمضان)،(وسماط رمضان)،(وليلة الختم)،(وموسم عيد الفطر)،(وموسم عيد النحر)،(وعيد الغدير)،(وكسوة الشتاء)،(وكسوة الصيف)،(وموسم فتح الخليج)،(ويوم النوروز)،(ويوم الغطاس) ، (ويوم الميلاد) ،(وخميس العدس) ، (وأيام الركوبات)"[2] .

---

(١)شذرات الذهب لابن العماد (١٣٨/٥-١٤٠) ، وهذه المبالغة في وصف الاحتفال بالمولد من طريق سبط ابن الجوزي ، وقد قدح الذهبي في صحتها ، انظر : سير أعلام النبلاء (٣٣٧/٢٢) .

(٢)الخطط والآثار ٤٩٠/١ وما بعدها .

وقال في حوادث سنة «٣٩٤هـ» : "وفي ربيع الأول ألزم الناس بوقود القناديل بالليل في سائر الشوارع والأزقة بمصر"[١] .

وقال في موضع آخر : " وجرى الرسم في عمل المولد الكريم النبوي في ربيع الأول على العادة "[٢]، ووصف هيئة هذه الاحتفالات التي تقام للمولد النبوي خاصة وما يحدث فيها من الولائم ونحوها[٣].

وقال: "وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة : النبوي ، والعلوي والفاطمي ، والإمام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسي ذكرها فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها وإعادتها وإقامة الجواري والرسوم فيها فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر.."[٤] .

وهذا يدل على أن العبيديين هم أول من أحدث هذه البدعة ، ولم تعرف إلا من جهتهم .

فهذا شئ مما يتعلق بنشأة هذه البدعة ، وهذا من أوضح الأدلة على أنها إحداث في الدين ما لم يأذن الله تعالى به .

وبطلان هذه البدعة يظهر من عدة أوجه :

الوجه الأول : أن الاحتفال بالمولد لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ،ولا أمر به ، ولا فعله أصحابه ، ولا أحد من التابعين ولا تابعيهم ، ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون المفضلة الأولى وإنما ظهر بعد ذلك على أيدي العبيديين الباطنية المشهورين بخبثهم وعداوتهم للإسلام والمسلمين .

---

(١)اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (٤٨/٢) سنة(٣٩٤هـ) .

(٢)اتعاظ الحنفاء (٩٩/٣) سنة(٥١٧هـ) ، وانظر (١٠٥/٣) .

(٣)الخطط والآثار (٤٣٢/١) وما بعدها .

(٤)الخطط والآثار (٤٣٢/١) ، وانظر : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، الشيخ الأمين عوض الله ص٢٤، وكتاب ظهور خلافة !! الفاطميين وسقوطها ،د.عبد المنعم ماجد ص٣٠٨-٣١٨ .

قال ابن كثير عن هؤلاء العبيديين :

«وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً ، فصاروا كأمس الذاهب كأن لم يغنوا فيها ، وكان أول من ملك منهم المهدي ، وكان من سلمية حداداً اسمه : عُبَيْد ، وكان يهودياً ، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه إنه المهدي ـــ كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة ـــ بعد الأربعمائة ... والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلـــة ، وصارت له دولة وصولة ، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهدية نسبة إليه ، وصـــار ملكـــاً مطاعاً يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض ... وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً ، **وكانوا من أغنى الخلفاء**[١] ، **وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك ســـيرة وأخبـــثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات ، وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصـــالحون من العلماء والعباد** ، وكثر بأرض الشام النصرانية ، والدرزية ، والحشيشية ، وتغلب الفـــرنج على سواحل الشام بكماله ، حتى أخذوا القدس ، ونابلس ، وعجلون ، والغور ، وبلاد غزة ، وعسقلان ، وكرك الشوبك ، وطبرية ، وبانياس ، وصور ، وعكا ، وصـــيدا ، وبـــيروت ، وصفد ، وطرابلس ، وإنطاكية ، وجميع ما والى ذلك إلى بلاد إياس ، وسيس ، واســـتحوذوا على بلاد آمد ، والرها ، ورأس العين ، وبلاد شتى غير ذلك وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمماً لا يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان ما لا يحد ولا يوصف ، وكـــل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها ، وصارت دار إسلام وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف ، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ، ولكن الله سلم ، وحـــين زالـــت أيـــامهم وانتقض إبرامهم ، أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته »[٢] .

---

(١)كذا ولعل الصواب : من أعتى الخلفاء .

(٢)البداية والنهاية(١٢/٢٦٧).

ولا شك أن من يقيم مثل هذه الاحتفالات فإن هؤلاء هم قدوته ، ولا شك أيضاً أن من يقيم هذه الاحتفالات المبتدعة ؛ فإنه يعتقد أن ذلك من صور محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراه دينا وعملا صالحا وعبادة يتقرب بها إلى الله – وإن لم يصرح بذلك – وعليه فإن من أحدث عبادة في الدين لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه فإن عمله باطل ومردود عليه وقد قال الله تعالى : ãa9 $MšÆ 'r ÓÉJeÏ Nä3øæ $Mõyùr Nä3Y/Š Nä3 $MèJ ø Pç$â

bÉÜ N9 $B Éú ïÏ!$`Ï Og9 (qãŽY (äY2 Žä Og9 P â : وقال تعالى ، [٣: المائدة] á YŠ N»=ôM

. [الشورى :٢١] á ª! $iî

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [١].

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في الخطبة : « أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »[٢]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

الوجه الثاني: أن الذي يمارس هذا الفعل واقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة" [٣] ، وجاء في حديث آخر: « وكل ضلالة في النار » [٤].

الوجه الثالث:أن فاعل هذه البدعة عمله مردود عليه غير مقبول منه لقول النبي صلى الله

---

(١)البخاري (٢٤٩٩) ، مسلم (٣٢٤٢) .

(٢)مسلم (١٤٣٥) .

(٣)أبو داود(٤٦٠٧) ، الترمذي (٢٦٧٦) ، ابن ماجه(٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وقال الترمذي:حديث حسن صحيح ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٦٤٧/٢) رقم ٩٣٧ .

(٤)النسائي (١٨٨/٣) من حديث جابر رضي الله عنه ، وأصله عند مسلم (١٤٣٥) .

عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ، ولا يكفي حسن النية بل لابد من متابعة النبي صلى الله عليه وسلم. يدل لذلك فهم الصحابة رضي الله عنهم وإدراكهم لخطر الابتداع مهما حسنت نية المبتدع ، وقد أنكر ابن مسعود على من أحدث بدعة الذكر الجماعي في المسجد - وتقدم سياق هذا الأثر - مع أنهم قالوا له يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، فقال وكم من مريد للخير لم يبلغه .

الوجه الرابع: أن هذا المولد فيه مشابهة واضحة لدين النصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام وقد نهينا عن التشبه بهم ،كما قال صلى الله عليه وسلم « ومن تشبه بقوم فهو منهم » [١].

الوجه الخامس : أن إقامة المولد للنبي صلى الله عليه وسلم نوع من أنواع الإطراء والغلو الذي حذر منه صلى الله عليه وسلم بقوله :« لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم » [٢] ،فقد نهى عن تجاوز الحد في إطرائه ومدحه ،وذكر أن هذا مما وقع فيه النصارى وكان سبب انحرافهم ، و قال صلى الله عليه وسلم : «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» [٣].

الوجه السادس: أن الواقع من أصحاب الموالد أنهم قاسوا على مولد النبي صلى الله عليه وسلم موالد الأولياء فجعلوا لكل ولي مولداً وعيداً يحتفلون به ويفعلون فيه ما لا يحصى من المنكرات الشركية والبدعية وسائر أنواع المعاصي ؛ وهذا دليل على بطلان هذه البدعة ؛ فإن ما ينتج عنه باطل لا يكون إلا باطلاً [٤].

---

(١)أبو داود (٤٠٣١) ، أحمد (٥٠/٢) ، قال ابن تيمية : إسناده جيد ...واحتج الإمام أحمد وغيره بهـــذا الحديث ، اقتضاء الصراط المستقيم (٢٤٠/١-٢٤١) .

(٢)البخاري (٣١٨٩) ، مسلم (٣٢٠١) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٣)النسائي(٢٦٨/٥) ،ابن ماجه (٣٠٢٩)أحمد (٢١٥/١ ، ٣٤٧) قال ابن تيمية رحمه الله : (إسناده على شرط مسلم)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢٩٣/١) .

(٤) فالرفاعية تقيم مولداً لمؤسسها أحمد الرفاعي في اليوم الخامس عشر من جمادى الآخرة ، وأحمد البدوي يقام له ثلاثة احتفالات الأول لمولده ،والثاني لوفاته ، والثالث في شهر رجب ، ومولد لإبراهيم الدسوقي في

ومما يحصل في بدعة الاحتفال بالمولد إنشاء المدائح النبوية والتي لا تخلو من الغلو والشرك الصريح والاستغاثة بغير الله ، وهذا أمر معروف ومشهور ، كما أنهم يدّعون حضور النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده ويقومون له ، بالإضافة إلى ألوان أخرى من المنكرات الـــتي لا يشك مسلم في حرمتها وبطلانها وبعدها عن الإسلام ؛ مثل : الطرب ، والغنـــاء ، واخــتلاط الرجال بالنساء ، ويصل الأمر في بعض البلدان التي يكثر فيها الجهل أن يشرب فيهـــا الخمـــر وكـــــــذلك إظهـــــــار ألـــــــوان مــــــــن الشـــــــعوذة والســـــــــحر [١].

اليوم الثاني عشر من جمادى الآخرة ، وذلك المولد لمدة أسبوع ، وأما مولد السيدة زينب ففي السابع مـــن شهر رجب إلى الرابع والعشرين من الشهر نفسه ، والمولد الحسيني عام لجميع الطرق الصوفية وموعـــده في اليوم الثاني والعشرين من ربيع الآخر ، وهلم جراً من البدع والمحدثات ، انظر الفكر الصوفي المعاصـــر ص ٢٤٩ .

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢ /٦١٩)، ومجموع الفتاوى(٣١٢/١) (وانظر مجمـــوع فتـــاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٤٨/٣-٩٥) ، ورسالة للشيخ عبد العزيز بن باز في حكم الاحتفال بالمولد النبوي ، ورسالة للشيخ حمود بن عبد الله التويجري بعنوان (الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي) ، وكتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشـــيخ إسماعيـــل الأنصاري.

المطلب السادس : التشديد على النفس والامتناع عن المباحات

وهذا صار من أبرز سمات التصوف ، وقد وقع في شيء من هذا بعض العباد من المتقدمين ،كخروج بعضهم واعتزاله عن المسلمين .

نشأة هذه البدعة :

هذا الأمر ينتج عن انحراف نزعات النفس البشرية ، وميلها للغلو ، وقد وجد شيء من هذا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كالثلاثة الذين تقالوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا الزيادة على المشروع ، وأنكر عليهم صلى الله عليه وسلم ذلك كما سيأتي ، ووجد أقوام في عهد التابعين حصل منهم مثل ذلك مثل ما فعل معضد بن يزيد العجلي وهو من العبّاد ، وكان خرج هو وعدة من أصحاب عبد الله بن مسعود إلى الجبّانة يتعبدون فأتاهم عبد الله بن مسعود فنهاهم عن ذلك وأنكر عليهم [١].

وظهر جماعة منهم اعتزلوا الناس ، وجماعة أخرى شددوا على أنفسهم في العبادة ، وجماعة عرف منهم الخوف الشديد والبكاء المستمر، وغير ذلك كالتزام الجوع والعطش والسهر ، ومكابدة المشاق ، ولزوم الزوايا مدة طويلة ، والامتناع عن الزواج .

وهكذا انتشرت في هذا العهد طبقة العباد ، ووجد عندهم من البعد عن السنة والتكلف والغلو ما أوقعهم فيما نهى عنه الإسلام ، وسيأتي ذكر بعض الأمثلة لذلك .

ثم توسع من بعدهم حتى بلغوا الغاية في مشابهة رهبان النصارى بل زادوا عليهم[٢]. حتى خرجوا به عن الحنيفية السمحة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن سعد بن أبي وقاص قال لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :" يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية أرغبت عن سنتي " قال : لا يا رسول الله ؛ قال :" إن من سنتي أن أصلي وأنام ، وأصوم وأطعم ،

---

(١)طبقات ابن سعد (٦/١٦٠).

(٢)أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه دراسات في التصوف ص ٢٣- ٦٣ ، أمثلة كثيرة عن هؤلاء في التشدد والتنطع والتكلف .

وأنكح وأطلق ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً ، ولعينـك عليك حقاً "[١]. قال سعد : فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنْ هو أقرّ عثمان على ما هو عليه ؛ أن نختصي فنتبتل .

وفي رواية أن عائشة رضي الله عنها ، قالت : دَخَلَتْ عليَّ خويلةُ بنت حكيم بن أميـة بن حارثة بن الأوقص السلمية ، وكانت عند عثمان بن مظعون ، قالت : فـرأى رسـول الله صلى الله عليه وسلم بذاذة هيئتها ، فقال لي : "يا عائشة ؛ ما أبذّ هيئة خويلة " ، قالت : فقلت : يا رسول الله ؛ امرأة لا زوج لها يصوم النهار ويقوم الليل ؛ فهي كمن لا زوج لها فتركـت نفسها وأضاعتها ، قالت : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بـن مظعـون ، فجاءه ، فقال : " يا عثمان ؛ أرغبةً عن سنتي " قال : فقال : لا ؛ والله يا رسول الله ؛ ولكن سنتك أطلب ، قال : " فإني أنام وأصلي ، وأصوم وأفطر ، وأنكح النساء ،فاتق الله يا عثمـان ؛فإن لأهلك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، فصم وأفطر ، وصل ونم " [٢].

ومن ذلك قصة الثلاثة نفر من الصحابة أرادوا الانقطاع للعبادة وشددوا على أنفسـهم وقد أخرج القصة البخاري ومسلم وغيرهما .

وهذا لفظ البخاري : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثـة رهـط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسـلم ، فلمـا أخبروا كأهم تقالّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسـلم

(١)أبو داود (١٣٦٩)،أحمد (٢٦٨/٦)، الدارمي (٢٠٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنـها ، وهـذا لفظ الدارمي ، وأصل الحديث في الصحيحين مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢)أحمد (٢٦٨/٦) .

إليهم ، فقال :" أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم لـــه ، لكـــني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " [١].

وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص لما شدد على نفسه في العبادة

فروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنه تزوج امرأة من قريش ، فكان لا يأتيها ، كان يشغله الصوم والصلاة ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :" صم من كـــل شهر ثلاثة أيام " ، قال : إني أطيق أكثر من ذلك ، فما زال به حتى قال له :"صم يوماً ، وأفطر يوماً ، وقال له :" اقرأ القرآن في كل شهر " ، قال : إني أطيق أكثر من ذلك ، قال :" اقرأه في كل خمس عشرة " ، قال : إني أطيق أكثر من ذلك ، قال :" اقرأه في كل سبع " ، حتى قـــال :"اقرأ في كل ثلاث " ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن لكل عمل شرة ، ولكل شـــرة فترة ؛ فمن كانت شرته إلى سنتي فقد أفلح ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك"[٢] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ، ويحب الحلوى ،ويستعذب له الماء البارد [٣].

لقد تطور الأمر عند الصوفية في هذه البدعة : حتى شددوا على أنفســـهم بإيجـــاب الخروج عن أموالهم ،وإدامة الصيام والقيام ، وترك التزوج وإدامة الجوع ، حتى إن ابن عطـــاء الأدمي البغدادي فقد عقله بسبب ذلك ثمانية عشر عاماً !![٤].

وذكروا حكايات كثيرة فيها الحث على الامتناع عن الطعام والشراب مدة طويلـــة !، وبعضها مخالف للحس والعقل [٥].

---

(١)البخاري (٤٦٧٥) و مسلم (٢٤٨٧) .

(٢)أحمد (١٨٨/٢) ، وأصله في البخاري (٥٠٥٢) ،مسلم (١١٥٩) .

(٣) زاد المعاد لابن القيم (١٤٢/١-١٥٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٤) .

(٥) انظر أمثلة على ذلك في كتاب دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص٢٦-٦٣ .

ونفروا مما أباحه الله عز وجل كقول بعضهم : « مثقال ذرة من لحم تقســـي القلـــب أربعين صباحاً » .

وامتنعوا من لبس المباح ، وفعل المباح ؛ يقول أحدهم : « من رفع بصره إلى شيء بغير نية الاعتبار كتبت عليه خطيئة !!» [١] .

يقول الذهبي : « الطريقة المثلى هي المحمدية ، وهو الأخذ من الطيبات ، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف ، فلم يشرع لنا الرهبانية ، ولا الوصال ، ولا صوم الدهر والجوع أبو جاد الترهب» [٢]، ومعنى أبي جاد الترهب ، أي : المدخل إلى الترهب المنهي عنه .

ويقول ابن الجوزي : « وقد لُبِّس عليهم في ترك المال كله ، وكانت مقاصدهم حسنة وأفعالهم خطرة ، والعجيب من الحارث المحاسبي والغزالي ؛ كيف حثوا على ذلك ... وأما استشهاد الحارث بأن عبد الرحمن بن عوف يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال ، فهذا خطأ ، وجهل بالعلم ، وقصة حبس ابن عوف غير صحيحة ...» [٣].

ويكفي في هذا المقام قول الله تعالى : â @èô B ôm Pš +ƒŸp $ ‹$ÉÓ z• I 9ëè7$Šn¾ $9Öh6» M Ë`

$ƒè @è ‘ Ï9®ïû ä#Bžq(Ï ’$Ss Šq$9%‰R$ } ¼Á Ïz qöP $É)Š» J þ á (الأعراف :٣٢) .

---

(١)انظر كتاب دراسات في التصوف ص٦٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨٩/١٤) .

(٣) تلبيس إبليس ص١٨٠ .

المطلب السابع : بدع شعائر التصوف (الخرقة – البيعة – العهد – التلقين ـــ حلق الشعر أو قصه على يد الشيخ)

للصوفية شعائر ورسوم يتمسكون به وهي مرتبطة بالطرق الصوفية ، والطريقـــة لهـــا أركان منها الشيخ أو المرشد ولا بد أن يرتبط المريد بشيخ ويسير على نهجه ويسلم له بالكلية ولا يعترض فمن اعترض طرد ! وعندهم من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ، ومن شروط الشيخ أن يكون له إسناد وإجازة حتى تتصل الطريق من شيخ عن شيخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم !! و لابد من الخلوة حتى تصفو نفس المريد ؛ ومن المعروف عند أهـــل العلـــم أن المعتني بهذه الخلوات والرياضات المبتدعة يحصل له تنزل شيطاني ، وخطاب شيطاني ، وبعضهم تطير به الشياطين من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد[١].

أما نشأة هذه الطرق فسيأتي الحديث عنها في الفصل الرابع ، والمقصود هنا الكلام على البدع المصاحبة لهذه الطرق المبتدعة مثل بدعة ما يسمى بالتلقين ، والعهد ، وأخذ الخرقة ونحو ذلك .

أول من ابتدع الخرقة :

هذه البدعة حدثت عند بعض المشايخ المتصوفة المتأخرين من أهل خراسان والعـــراق ، كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة ولا يقصون شعورهم ولا التابعون ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين... وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ، ولا يسقي ملحاً ، ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة »[٢] .

ومع ذلك فهم يدعون أن أصلها من الرسول صلى الله عليه وسلم !!

---

(١)انظر رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية .

(٢)منهاج السنة (٤٧/٨) ، وتعبير الشيخ ب(مريديهم) مراده أصحابهم من التابعين ، والتعبير بالصـــاحب عن المريد لا يعرف إلا عند الصوفية فالشيخ رحمه الله عبر باصطلاحهم لأن الخطاب معهم .

وهذا من الكذب والبهتان ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وأما لباس الخرقة التي يلبسها بعض المشايخ المريدين : فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة ولا كان المشايخ المتقدمون ، وأكثر المتأخرين يلبسونها المريدين . ...وأما جعل ذلك سنة وطريقا إلى الله سبحانه وتعالى فليس الأمر كذلك» [(١)].

وأما موقف السلف من شيوخهم وعلمائهم ، فكما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون ، وتعلموا منهم ، وتأدبوا بهم ، واستفادوا منهم ، وتخرجوا على أيديهم ، وصحبوا من صحبوه منهم ، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة ... وقد انتفع بكل منهم من نفعه الله ، وكلهم متفقون على دين واحد ، وطريق واحدة ، وسبيل واحدة ، يعبدون الله ، ويطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قبلوه ، ومن فهم من القرآن والسنة ما دل عليه القرآن والسنة استفادوه ، ومن دعاهم إلى الخير الذي يحبه الله ورسوله أجابوه ، ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه رباً يستغيث به كالإله الذي يسأله ويرغب إليه ويعبده ويتوكل عليه ويستغيث به حياً وميتاً ، ولا كالنبي الذي تجب طاعته في كل ما أمر فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه ؛ فإن هذا ونحوه دين النصارى ،الذين قال الله فيهم«Ï$Âc rß `Ï X/ö‘r& óOßgt6»ydö‘ur öNèdu‘$t6ômr& (#ÿräsƒªB$# â

á šc qà2 Ìô±ç„ $£Jtã ¼çmtR»ysö6ß™ uqèd žwÎ) tm»s9Î) Hw #Y‰Ïnºur $Yg»s9Î) (#ÿrß‰ç6÷èu‹Ï9 žwÎ) (#ÿrã÷Bé& !$tBur NŸotƒötB šÆö/$# x‹Å¡yJø9$#

(التوبة:٣١) وكانوا متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ،متواصين بالحق متواصين بالصبر»[(٢)] .

ومنزلة الشيخ والعالم والإمام عند السلف الصالح :« بمنزلة الإمام في الصلاة ، وبمنزلـــة دليل الحاج ؛ فالإمام يقتدي به المأمومون فيصلون بصلاته ، لا يصلي عنهم ، وهو يصلي بهـــم الصلاة التي أمر الله ورسوله بها ، فإن عدل عن ذلك سهواً أو عمداً لم يتبعوه ، ودليل الحـــاج يدل الوفد على طريق البيت ليسلكوه ، ويحجوه بأنفسهم ؛ فالدليل لا يحج عنهم ، وإن أخطأ

---

(١)مجموع الفتاوى (٥١١/١١) .

(٢)منهاج السنة النبوية (٤٧/٨-٤٨) .

الدلالة لم يتبعوه ، وإذا اختلف دليلان وإمامان نظر أيهما كان الحق معه اتبع ، فالفاصل بينهم الكتاب والسنة ، قال تعالى: â $pkš‰r'¯»tƒ tûïÏ%©!$# (#þqãZtB#uä (#qãèÏÛr& ©!$# (#qãèÏÛr&ur tAqß™§9$# 'Í<'ré&ur ÍöDF{$# óOä3ZÏB bÎ*sù ÷Läêôãt"uZs? 'Îû &äóÓx« çnr–Šãsù 'n<Î) «!$# ÉAqß™§9$#ur bÎ) ÷LäêYä. tbqãZÏB÷sè? «!$$Î/ ÏQöqu‹ø9$#ur ÌÅzFy$# á [النساء:٥٩] الآية)[1] .

ولا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن .كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلقاه عنهم التابعون ؛ وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان ، فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه ، فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر ، ولا يتعين ذلك في شخص معين ، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين ،كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها ؛ وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة ؛ فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرناً بعد قرن ؛ وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك ؛ بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ،ولا يخص أحداً بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ،ويفضل من فضله الله ورسوله ، قال الله تعالى: â $pkš‰r'¯»tƒ â¨$¨Z9$# $¯RÎ) /ä3»oYø)n=yz `ÏiB 9.x‹sŒ 4Ó\Ré&ur öNä3»oYù=yèy_ur $\/qãèä© Ÿ@ͬ!$t7s%ur (#þqèù$yètGÏ9 4 ¨bÎ) ö/ä3tBtò2r& y‰YÏã «!$# öNä39s)ø?r& 4 á [الحجرات :١٣] . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" لا فضل لعربي على عجمي ؛ ولا لعجمي على عربي ؛ ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى "[2] .

وقال ابن الجوزي : « وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها إسناداً متصلاً كله كذب ومحال... انظروا إخواني عصمنا الله وإياكم من تلبـــيس إبلـــيس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعرة »[3] .

---

(١)منهاج السنة النبوية (٤٩/٨) .

(٢)أحمد (٤١١/٥) من حديث أبي نضرة عن رجل سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٣)تلبس إبليس ص ٢٣٦ .

ومن بدعهم أخذ العهد على المريد والتلميذ ، والمبايعة على الطريقة ، قال شيخ الإســـلام ابن تيمية :

« ونحو ذلك العهود التي تؤخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين ، كعهود أهـــل " الفتوة " ، و " رماة البندق " ، ونحو ذلك ، ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك علـــى وجـــه الدين والطاعة لله إلا ما كان ديناً وطاعة لله ورسوله في شرع الله ؛ لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك ؛ ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أُخذ عليه من العهد بالتزام طريقـــة مرجوحة ، أو مشتملة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة ؛ إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل : إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب ؛ إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك ومـــا علـــم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قربة وطاعة . فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله ولا التعبد به ولا اتخاذه دينـــاً ولا عمله من الحسنات فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ولا بإرادة وعمل .

وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرماً لا ينهى عنه ؛ بل يقال إنه جائز ولا يفرقون بين اتخاذه ديناً وطاعة وبراً ، وبين استعماله كمـــا تستعمل المباحات المحضة ، ومعلوم أن اتخاذه ديناً بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما أو بـــالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظـــم من المعاصي التي يعلم أنها معاصي وسيئات »[١] .

ومن شروط التوبة عندهم التوبة على يد الشيخ ، والمشيخة تعتبر ضرورة كونية[٢] !!

والعهد من الأمور التي يشددون فيها على المريد ، ويوجبون عليه أن يلتزم بالآداب مع الشيخ ،وهذه الآداب منها : أن يكون مع شيخه كالنعال!! ويستسلم له تماما ، ويكون بـــين

(١)مجموع الفتاوى (١٠/٤٤٥) .

(٢)التصوف والمجتمع لعبد اللطيف الشاذلي ص ١٣٥-١٤٦ .

يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل!! ونقل بعضهم عن أحد كبار الصوفية أنه قال : " لو أمرني الشيخ أن أسجد للّات لسجدت " (١) .

بل طلب الدليل من الشيخ على قول الشيخ من الكبائر !!

ويصرون على دوام تخيل الشيخ بين عيني المريد في كل الأوقات يقول محمد السمنودي "... الرابع (أي من آداب الذكر) أن يستمد المريد عند شروعه فيه بهمّة شيخه وأنْ يُخَيِّل شخصَ شيخِه بين عينيه " (٢).

يقول إسماعيل القادري أحد صوفية القادرية المعاصرين :" الرابطة هي أفضل من الذكر، وهي حفظ تصوّر صورةِ الشيخ في الفكر ، وذلك للمريد أفيد وأنسب من الذكر ؛ لأن الشيخ واسطة في الوصول إلى الحق جل وعلا " (٣).

ويقول أحد هؤلاء إذا وقعت في شدة فنادني باسمي ، ويقول أحدهم لمريديه : إذا سولت لك نفسك بالمعصية فتذكر شيخك يصرف الله عنك هذا السوء ! .

فهذا منكر عظيم وشرك بالله جل وعلا ،فيدعون إلى التعلق بشيوخهم وعبادتهم من دون الله ، لتفريج كرباتهم وقضاء حوائجهم .

فهذا هو ما يسمى عندهم بالرابطة ؛ فالرابطة هي الشرك بالله عز وجل ، والتعلق بغيره ، ومن تعلق شيئا وكل إليه ، وهذا الذي يسمونه الاستمداد من فيوضات الشيخ وفتوحاته وأن الشيخ الوسيط ... إلخ (٤).

---

(١)تربيتنا الروحية لسعيد حوى ص ٢٠٢ .

(٢)تحفة السالكين للسمنودي ص٢٠ .

(٣)الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص ٢٦ .

(٤)انظر التصوف بين الإفراط والتفريط لعمر كامل ص ٢٢٤ ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه البدعة الشركية عندهم .

الفصل الثالث :

أول بدع التصوف

من بعض عبّاد الكوفة ، وبعض عبّاد البصرة

لا شك أن لكل البدع والمحدثات بدايات قد تكون في أول الأمر يسيرة ، ثم تتوســع وتنتشر .

والأمر بالنسبة لبدع التصوف كذلك ؛ فإن المتأمل في بدع التصوف يجدها ترجــع إلى اجتهادات خاطئة من بعض العباد والزهاد ونحوهم ، وتقدمت الإشارة إلى هذا .

وكل بلد من هذه البلدان يظهر فيه عدد من العلماء والزهاد والعباد ، وربما تكون لهم خصائص تميزهم عن غيرهم ؛ غير أن مدن العراق هي التي تميزت عن غيرها بكثـــرة المخالفــة للسنة ــــ عند بعض أهلها ــــ في أمور العبادة ، وتقدم قول ابن تيمية أنه بعد القرون الثلاثــة حدثت ثلاثة أشياء : الرأي والكلام والتصوف ، وظهر أحمد بن علي الهجيمي البصري الزاهد الذي صحب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد بن زيد صحب الحسن البصري ومن اتبعه من المتصوفة وبنى دويرة للصوفية ؛ هي أول ما بني في الإسلام .

وكان عبد الرحمن بن مهدي وغيره يسمونهم (الفقرية) وكانوا يجتمعون في دويــرة لهم، وصار لهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع... وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت حتى إن أحدهم يموت أو يغشى عليه .

وكان أهل المدينة أقرب في القول والعمل إذ لم ينحرفوا انحراف الطــائفتين مـــن الكوفيين والبصريين هوىً وروايةً ورأياً وكلاماً وسماعاً ، وإن كان في بعضهم نوع انحـــراف ، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين وأهل أعمال قلبية أقرب إلى الحال المشروع من صـــوفية البصريين إذ ذاك ، ولذا تجد كتب الكلام والتصوف إنما خرجت في الأصل مـــن البصـــرة ، ككتب الحارث بن أسد المحاسبي ، وأبي الحسن بن سالم ، وأبي سعيد الأعرابي ، وأبي طالـــب المكي ، وقد شرك هؤلاء من البغداديين والخراسانيين والشاميين خلق ، لكن الغرض أن الأصول مِنْ ثَمّ [1].

(١)مجموع الفتاوى (٣٦٠/١٠) باختصار وتصرف يسير .

إن الملاحظ في تراجم التابعين وأتباعهم أن بلدان المسلمين في ذلك الوقت متفاوتة ؛ فأقربهم للسنة المدينة ، ثم الشام ، واليمن ، ويليهم أهل العراق ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ، ولهذا كان يقال : فقه كوفي وعبادة بصرية [١].

فعبّاد المدينة يقل فيهم السلوك المبتدع في العبادة ، بخلاف عبّاد العراق فقد كثر في بعضهم النسك المنحرف (النسك الأعجمي) المتأثر بالمجوس ، أو الفرس ، أو النصارى .

والسبب في ذلك هو القرب من السنة والإيمان والبعد عنهما ، وعجز اللسان والتأثر بالمجاورين من أهل الأديان والملل الباطلة.

ثم المتقدمون الذين وضعوا طرق الرأي والكلام والتصوف وغير ذلك « كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار إذ العهد القريب ، وأنوار الآثار النبوية بعد فيها ظهور ، ولها برهان عظيم ، وإن كان عند بعض الناس قد اختلط نورها بظلمة غيرها ، فأما المتأخرون فكثير منهم جرد ما وضعه المتقدمون ، وكذلك من صنف في التصوف والزهد ، جعل الأصل ما روي عن متأخري الزهاد ، وأعرض عن طريق الصحابة والتابعين ، كما فعل صاحب الرسالة أبو القاسم القشيري ، وأبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، وابن خميس الموصلي في مناقب الأبرار ، وأبو عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية .

لكن أبو عبد الرحمن صنف أيضا من سير السلف من الأولياء والصالحين ، ومن سير الصالحين من السلف ، كما صنف في سير الصالحين من الخلف ونحوهم من ذكرهم لأخبار أهل الزهد والأحوال من بعد القرون الثلاثة من عند إبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، ومن بعدهم ، وإعراضهم عن حال الصحابة والتابعين الذين نطق الكتاب والسنة بمدحهم والثناء عليهم ، والرضوان عنهم .

وكان أحسن من هذا أن يفعلوا كما فعله أبو نعيم الأصبهاني في الحلية ؛ من ذكره المتقدمين والمتأخرين ، وكذلك أبو الفرج ابن الجوزي في صفة الصفوة ، وكذلك أبو القاسم

---

(١)مجموع الفتاوى (١١/٦) .

التميمي في سير الخلف ، وكذلك ابن أسد بن موسى ، إن لم يصعدوا إلى طريقة عبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وهناد بن السري ، وغيرهم في كتبهم في الزهد » [١] .

وسأذكر في هذا **أمثلة فيها بعض أنواع الغلط التي وقع فيها بعض المتقدمين من عباد العراق وغيرهم** ، وذلك ليظهر الفرق بين طريقة الصحابة ومن تبعهم من أئمة التابعين وأتباعهم بإحسان وبين المخالفين لهم ممن وقع في شئ من الزيادة والتشدد ، فكان فتنة لمن جاء بعده واقتدى به وزاد الغلو عند الأتباع ، وأتباع الأتباع ؛ حتى صار الغلو المذموم ممدوحاً عند خلوف المتصوفة والله المستعان .

فهذه الأمثلة المقصود منها بيان بداية الانحراف والمخالفة للسنة والتي قد تكون عن خطأ واجتهاد مغفور لصاحبه ، لخفاء السنة عليه أو لورود حال عجز عن دفعها لقصوره .

ولا يعني هذا النقص والغض من مكانتهم وإمامتهم وفضلهم ، يدل لذلك ما وقع لبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في هذا المقام ، كما تقدم ذكره من قصة الثلاثة النفر الذين تقالّوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ،وقصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، والمرأة التي وضعت حبلاً لتتعلق به إذا فترت عن العبادة ، والرجل الذي نذر أن يقف في الشمس ويصوم ولا يتكلم ، وغيرهم .

وهذه الأحوال التي تصدر من اجتهاد من العبد هي من مواقع الغلط ، ويطلب فيها سلوك الصراط المستقيم من غير تفريط ولا إفراط ، ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأحوال والاجتهادات المخالفة لسنته في أمر العبادة ، ودعا هؤلاء إلى لزوم سنته التي هي الاقتصاد والتوسط والصراط المستقيم .

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي ، وصار الميزان الذي يعرف به الحق من الباطل والهدى من الضلال والصواب من الخطأ هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فالواجب إرجاع جميع أحوال الناس ومقالاتهم وعباداتهم وأخلاقهم إلى ذلك الميزان القسط .

---

(١)مجموع الفتاوى (٣٦٨/١٠) .

والناس في هذا المقام العظيم طرفان ووسط ؛ فطرف ينظر إلى فضل هذا العالم والعابـد وتقدمه وشهرته وما ثبت في نفسه من إمامته وعلو مترلته ، فيجعل ذلك العابـد أو العـالم أو الزاهد هو المعيار والميزان ، ولا يبالي إذا وقع في شيء من المخالفة ولا يعد ذلك خطأً لأنه فعله هذا الرجل المعظم في نفسه .

وطرف آخر يتطاول على الأئمة ويتنقصهم ويحط من شأهم ويجعل هذه الأحوال وسيلة للغض والازدراء ، وهذا أيضاً خطأ كبير .

والواجب معرفة فضل أئمة الإسلام ومحبتهم ، والثناء عليهم ، ومع ذلك فالغلط جـائز عليهم سواء الغلط في المسائل العلمية أو العملية ، ومن النصح لهم بيان ما أخطؤوا فيه إذا لـزم الأمر ، وترك متابعتهم فيما أخطؤوا فيه .

«فهذه الأحوال التي يقترن بها الغشي ، أو الموت ، أو الجنون ، أو السكر ، أو الفنـاء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك ، إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقاً عاجزاً عن دفعها كان محموداً على ما فعله من الخير وما ناله من الإيمان ، معذوراً فيما عجز عنه وأصابه بغـير اختياره وهم أكمل ممن لم يبلغ مترلتهم لنقص إيمانهم ، وقسوة قلوبهم ، ونحو ذلك من الأسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله ، أو فعل ما يكرهه الله ، ولكن من لم يزل عقله مع انه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل منهم، وهذه حال الصحابة رضـي الله عنهم ، وهو حال نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه أسري به إلى السماء ، وأراه الله مـا أراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله...

والمقصود أن هذه الأمور التي فيها زيادة في العبادة والأحوال خرجت مـن البصـرة ، وذلك لشدة الخوف فإن الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السليمى وأمثالهما ؛ أمر عظيم ، ولا ريب أن حالهم أكمل وأفضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم أو تفضل عليهم ، ومن خاف الله خوفاً مقتصداً يدعوه إلى فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله من غـير هذه الزيادة ، فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء ، وهو حال الصحابة رضى الله عنهم ...

وكذلك ما يذكر عن أمثال هؤلاء من الأحوال من الزهد ، والورع ، والعبادة ، وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ما سنه الرسول أمـــور توجب أن يصير الناس طرفين :

قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم وربما أسرفوا في ذلك .

وقوم يغلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من أكمل الطرق وأعلاها ...

وهذا باب يفترق فيه الناس والصواب للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحابه ، ويعلم من ذلك أن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم ، كما قال الله تعالى : â (#qà)¨?$$sù ©!$# $tB ÷Läê÷èsÜtFó™$# á [التغابن :١٦] ، وقال : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[1] ، وقال : â Ÿw ß#Ïk=s3ãƒ ª!$# $²¡øÿtR žwÎ) $ygyèó™ãr á [البقرة :٢٨٦] .

وإن كثيراً من المؤمنين المتقين أولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والإيمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلابد أن يصدر منه خطأ إما في علومه وأقواله وإما في أعماله وأحواله ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم فإن الله تعالى قال : â z`tB#uä ãAqß™§9$# !$yJÎ/ tAÌRé& Ïmøs9Î) `ÏB ¾ÏmÎn/§‘ tbqãZÏB÷sßJø9$#ur 4 <@ä. z`tB#uä «!$$Î/ ¾ÏmÏFs3Í´¯»n=tBur ¾ÏmÎ7çFä.ur ¾Ï&Î#ß™â‘ur Ÿw

ä-ÌhxÿçR šú÷üt/ 7‰tnr& `ÏiB ¾Ï&Î#ß™•‘ 4 (#qä9$s%ur $uZ÷èÏJy™ $oY÷èsÛr&ur (y7tR#tøÿäî $oY/u‘ y7ø‹s9Î)ur çŽÅÁyJø9$# á إلى قوله â $oY/u‘ Ÿw !$tRõ‹Ï{#xsè? bÎ) !$uZŠÅ¡®S ÷rr& $tRù'sÜ÷zr& 4 á [البقرة :٢٨٥-٢٨٦] قال الله تعالى : قد فعلت »[2] .

(١)البخاري (٦٧٤٤) ، مسلم (٢٣٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢)مسلم (١٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنه .

فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع ، ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً فهو مخطئ ضال مبتدع ...» (١) .

وهذا شروع في بعض الأحوال العملية التي يظهر مخالفتها للسنة ، وهي بداية الانحراف في مفهوم العبادة تعلل به من أتى بعد هؤلاء ؛ ممن أضاف إلى تلك الأمور ما جعلها بدعاً صريحة ، فصارت تلك الأحوال سبباً لفتنة من جاء بعدهم .

فمن أولئك:

١- أصحاب حلقة الذكر الذين أنكر عليهم ابن مسعود رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكر قصتهم (٢).

٢- جماعة من المتعبدين خرجوا إلى ظاهر الكوفة ، وبنوا مسجداً يتعبدون فيه ، منهم عمرو بن عتبة ، ومفضل العجلي ، فخرج إليهم ابن مسعود رضي الله عنه ، وردهم إلى الكوفة ، وهدم مسجدهم ؛ وقال : إما أن تكونوا أهدى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أو تكونوا متمسكين بذَنَبِ ضلالة (٣).

٣- عامر بن عبد الله بن عبد قيس من عباد البصرة ،كان قد ترك النساء والمال بالكلية ، وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة ، وتغرب عن بلده ، وقد أنكر عليه أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه فقال له : أما بعد فإني عهدتك على أمر ، وبلغني أنك تغيرت فاتق الله وعد " (٤).

---

(١)مجموع الفتاوى (١١/١٢-١٦) .

(٢)انظر ص ٥٩ .

(٣)ذكرها ابن رجب الحنبلي في فتح الباري(١/١١٠-١١١) ، وقال : إسناد هذا صحيح عن الشعبي أنه حكى ذلك .

(٤)الحلية (٢/٨٧) صفة الصفوة (٣/٢٠١) سير أعلام النبلاء (٤/١٥) .

٤- مسروق بن الأجدع الهمداني الإمام العلم من عبّاد الكوفة ، حج مرة فما بات إلا ساجداً [١] .

٥- عطاء السليمي العابد ، أضر بنفسه حتى ضعف جداً وعمشت عيناه ، وذلك لشدة خوفه وكثرة بكائه ، كان يبكي الليل والنهار ! [٢]

٦- عتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة ، كان كثير الخوف من الله ، شديد البكاء لا يكاد ينقطع بكاؤه ، وكان يصوم الدهر ، ويأوي إلى السواحل والجبّانة (المقابر)[٣].

٧- جوّاب بن عبيد الله التيمي الكوفي ، كان يرتعد عند الذكر !فقال له إبراهيم التيمي : إن كنت لا تملكه فما أبالي ألا أعتد به ، وإن كنت تملكه فقد خالفت من هو خير منك [٤].

٨- الأسود بن يزيد النخعي الإمام العلم من عباد الكوفة ،قال علقمة بن مرثد : كان مجتهداً في العبادة حتى يخضرّ جسمه ويصفرّ ، وكان يصوم الدهر ، وذكر عنه أنه ربما أحرم بالحج من جَبَّانة عَرْزم (محلة بالكوفة) [٥].

٩- عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ،كان من العباد ،وقال له أبوه لما يرى منه : قد رأيت أبا بكر وعمر لم يكونا هكذا ، ومرة سرقت له نعل فما انتعل حتى مات [٦].

---

(١)الحلية (٢/٧٥) تاريخ بغداد (١٣/٢٣٢) سير أعلام النبلاء (٤/٦٣).

(٢)الحلية (٦/٢١٥) صفة الصفوة (٣/٣٢٥) سير أعلام النبلاء (٦/٨٦) .

(٣)الحلية (٦/٢٢٦) صفة الصفوة (٣/٣٧٠) سير أعلام النبلاء (٧/٦٢) .

(٤)الحلية (٤/٢٣١) ، تهذيب الكمال (١/٤٨٧) .

(٥)الحلية (٢/١٠٣) صفة الصفوة (٣/٢٣) سير أعلام النبلاء (٤/٥٠).

(٦)الحلية (٣/١٦٦) صفة الصفوة (٢/١٣٠) سير أعلام النبلاء (٥/٢١٩) .

١٠- الإمام الزاهد العابد أبو مسلم الخولاني : عبد الله بن ثوب اليماني ثم المدني ، علق سوطا في مسجده ويقول أنا أولى بالسوط من الدواب فإذا دخلته فترة مشق ساقه سوطا أو سوطين [١].

١١- صفوان بن سليم الزهري ، أبو عبد الله ، مولى حميد بن عبد الـــرحمن بـــن عوف فقد حلف ألا يضع جنبه على الأرض حتى يموت[٢] .

١٢- عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية ، زار عبد الكريم أبا العالية فرأى أبو العالية عليه ثياب صوف فقال له : هذا زي الرهبـــان ، إن المســـلمين إذا تزاوروا تجملوا [٣].

١٣- غزوان بن غزوان الرقاشي ، حلف ألا يضحك فما رؤي ضاحكاً حتى مات ، رحمه الله تعالى [٤].

١٤- خليد بن عبد الله العصري ، كان يصوم الدهر [٥].

١٥- صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي البصري الزاهد العابد ، كان يخـــرج إلى الجبانة فيتعبد فيها [٦].

١٦- العلاء بن زياد البصري القدوة العابد ، انقطع عن الناس ، وكان يصوم حتى يخضر ، ويصلي حتى يسقط ، وظل يبكي حتى عمـــي ، ونصـــحه أنـــس والحسن فأجابهم بما يخالف السنة [٧].

---

(١)الحلية (٢/١٢٢) صفة الصفوة (٤/٢٠٨) البداية والنهاية (٨/١٤٦) سير أعلام النبلاء (٤/٧).
(٢)الحلية (٣/١٥٨) صفة الصفوة (٢/١٥٣) سير أعلام النبلاء (٥/٣٦٤).
(٣)الحلية (٢/٢١٧) تهذيب الكمال(٤/٥٤٢) سير أعلام النبلاء (٦/٨٣).
(٤)صفة الصفوة (٣/٢٥١) .
(٥)الحلية (٢/٢٣٢) .
(٦)الحلية (٢/٢٣٧) صفة الصفوة (٣/٢١٦) سير أعلام النبلاء (٣/٤٩٧).
(٧)الحلية (٢/٢٤٢) صفة الصفوة (٣/٢٥٣) سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٢).

١٧- ثابت بن أسلم البناني أبو محمد من عباد البصرة وعلمائها ، وكان من أئمة العلم والعمل ،مما يؤخذ عليه في ترجمته أنه كان يصوم الدهر [١].

١٨- مالك بن دينار من الزهاد المشهورين ، ومما يؤخذ عليه ما نقل عنه أنه كان ينظر في التوراة والزبور وكتب السابقين من النصارى ، وقوله :لا يبلغ الرجل مترلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، ويأوي إلى منازل الكلاب ، وقوله : ينبغي للقارئ أن يكون عليه دارعة صوف وعصا راع ...، وكذا طلبه من الراهب أن يفيده ، وعزوفه عن الزواج ، وترك المباحات ، ولبسه الصوف الخشن ، وهكذا ما نقل عنه من مشي الكلب معه !! [٢]

١٩- سليمان بن طرخان التيمي البصري الإمام العلم القدوة ، مما يؤخذ عليه رحمه الله تعالى أنه كان يصلي الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ولم يضع جنبه على الأرض عشرين سنة [٣].

٢٠- فرقد بن يعقوب السبخي البصري العابد ، كان ينظر في التوراة ،وكان يقول الشبع أخو الكفر ، ولبسه جبة الصوف، ونقل عنه النظر في التوراة [٤].

٢١- يزيد بن أبان الرقاشي البصري العابد المشهور ، مما يؤخذ عليه رحمه الله تعالى ما نقل في ترجمته من إعطاشه وتجويعه لنفسه حتى ذبل جسمه وتغير لونه ونهك بدنه ، وإدامته للصيام اثنتين وأربعين سنة [٥].

---

(١)الحلية (٣٢١/٢) صفة الصفوة (٢٦٠/٣) سير أعلام النبلاء (٢٢٠/٥).

(٢)الحلية (٣٥٨/٢-٣٨٤) صفة الصفوة (٢٩٦/٣) سير أعلام النبلاء (٣٦٢/٥).

(٣)الحلية (٢٧/٣) صفة الصفوة (٢٧١/٣) سير أعلام النبلاء (١٩٥/٦).

(٤)الحلية (٤٧/٣) صفة الصفوة (٢٧١/٣).

(٥)الحلية (٥٠/٣) صفة الصفوة (٢٨٩/٣).

٢٢- هارون بن رئاب الأسيِّدي البصري العابد ، كان يلبس الصوف [١].

٢٣- عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري الإمام الحافظ ، كـــان يقوم الليل كله [٢] .

٢٤- الحجاج بن فرافصة الباهلي البصري العابد ، مكث بضعة عشـــر يومـــاً لم يأكل و لم يشرب و لم ينم [٣].

٢٥- ورأى عبد الله بن غالب الحداني رجلاً في فلاة يأتيه رزقه ؛ لا يدري من أين يأتيه ! ؛ فقال له : إن هذه الأمة لم تؤمر بهذا ، إنما أمرت بالجمعة والجماعة وعيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ، فقبل منه وانتهى من ساعته إلى قرية فيها هذا كله [٤].

وبعد فهذه نماذج من اجتهاد هؤلاء العبّاد ـــ رحمهم الله تعالى جميعاً وغفر لهم وجمعنـــا وإياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ـــ بلغ بهم اجتهادهم إلى مخالفة الســـنة والوقـــوع في التشدد والتكلف ؛ وقد أثرت على من بعدهم وتعلقوا بها وجعلوا أولئك قدوتهم في هذا الغلـــو مع مخالفتهم صريح السنة ، والله المستعان .

---

(١)الحلية (٣/٥٥) صفة الصفوة (٣/٢٨٩) سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٣).

(٢)الحلية (٣/١٢٠) صفة الصفوة (٣/٣٠١) سير أعلام النبلاء (٦/١٣).

(٣)الحلية (٣/١٠٨) صفة الصفوة (٣/٣٢٥) تهذيب الكمال (٢/٦٣) سير أعلام النبلاء (٧/٧٨).

(٤)فتح الباري لابن رجب الحنبلي (١/١١٠-١١١) .

الفصل الرابع :

بذور التصوف الطرقي في القرن الثالث

المبحث الأول :بداية حدوث الطرق الصوفية
المبحث الثاني : أسماء بعض الطرق الصوفية
المبحث الثالث :أهم الطرق الصوفية المعاصرة

المبحث الأول :بداية حدوث الطرق الصوفية

المراد بالطرق جمع طريق ؛ وهو السبيل الذي يطرق بالأرجل ، ويقال الطريق والطريقة على سبيل الترادف ،والمراد بالطريقة عند الصوفية : هي مجموعـــة مـــن الآداب والأخـــلاق والأعمال والعقائد يسير عليها أفراد من المتصوفة ويتمسكون بها تبعاً لشيخ يتولى تـــوجيههم ، وتأديبهم والقيام عليهم ، فهذه هي الطريقة في اصطلاحهم [١].

إن طرق الصوفية نشأت في بادئ الأمر على غير منهاج واضح أو هيكل تنظيمي ؛ وإنما نشأت بسبب تنوع المشايخ ، فقد اتجه بعض الشيوخ اتجاهاً جديداً حيث بدأوا يجمعون حولهم المريدين من أجل تدريبهم ، فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية [٢].

ففي الحقيقة ليست هي طرقاً بمعنى ما تؤدي إليه هذه الكلمة ، لكن لما كانوا بعيـــدين عن العلم واختطوا لأنفسهم منهجاً في العبادة والسلوك ، وظهر فيهم التميـــز عـــن جمهـــور المسلمين ، وظهرت لهم كلمات ومصطلحات مهدت لظهور الطرق المنظمة لمن جاء بعدهم ، مثل قولهم : علمنا ، مذهبنا ، طريقتنا[٣] .

وظهر فيهم قلة العلم بالسنة، وكثرة الوعظ والقصص والتأثر بسلوكيات الرهبـــان والنسك الأعجمي ، فزاد بعدهم عن سمت الصحابة وهديهم .

ومن صور التميز التي حصلت لهم : اتخاذ بيوت خاصة للعبـــادة غـــير المســـاجد ، ينقطعون فيها عن الناس .

وكذلك السماع المحدث الذي كان يسميه الشافعي التغبير ، ونسب إحداث ذلـــك للزنادقة ، وربما أضافوا إليه الضرب بالدف ونحوه .

---

(١)الفكر الصوفي المعاصر ص٢١٢-٢١٤ .

(٢)الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص٥٣٩ ، ودراســـات في التصـــوف لإحسان إلهي ظهير ص ١٥٩ ، ص٢١٥ ، الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود القاســـم ص ٣٠٩-٣١٥ وما بعدها ، ص٦٠١ .

(٣)انظر ما تقدم ص ٢٤ــــــ ٢٥.

وكذلك دعوى الذوق والوجد ، وهذا كان سببا في إدخال الفلسفات الإشـــراقية الإلحادية في أتباعهم ومن جاء بعدهم .

وهكذا تميز هؤلاء بعدة أمور وصارت لهم مشيخة لهم رسوم وعادات وسمت خاص .

وهذا أول بذور التصوف الطرقي .

ومن أوائل ما أحدثه الصوفية في المرحلة الثانية أن لكل شـــيخ أتباعـــاً ومريـــدين ، ينتسبون إليه ، فصارت لهم ألقاب إضافية ، فقيل عن أتباع الجنيد : الجنيدية ، وأتباع المحاسبي : المحاسبية ، وهكذا.

ثم نظّمت بعد ذلك ؛ يقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق :

" إن أول من وضع هيكل تنظيمي للطرق الصوفية هو فضل الله أبو سعيد محمد أحمد الميهني الصوفي الإيراني الفارسي (٣٥٧ هــ -٤٣٠ أو ٤٤٠ هــ) " [(١)] ، وهذا المشار إليه هو تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي وتلقى الخرقة من يده .

وبالنظر إلى ترجمة شيخه أبي عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين الأزدي الســـلمي (٣٢٥ هــ - ٤١٢هــ) :

فقد قيل فيه : إنه ورث التصوف من أبيه وجده ، وهو صاحب التصانيف المشهورة في علوم الصوفية ، وقيل فيه : إنه عمل دويرة للصـــوفية . وروى عـــن شـــيخه أبي ســـهل الصعلوكي مقولة : « مَنْ قال لشيخه : لِمَ ؟ لا يفلح أبداً » !!

وقال الذهبي في آخر ترجمته : " وبالجملة ففي تصـــانيفه أحاديـــث ، وحكايـــات موضوعة ، وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنيـــة!! وعدّها منهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ، ومن كلام بهوى ، فإن الخير كل الخـــير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم "[(٢)] ، بل هذا الكتاب جمع فيه من التأويلات ما صار مفتاحاً لمن جاء بعده من الباطنية الصوفية .

---

(١)الفكر الصوفي ص ٥٣٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٥٢/١٧) ، وانظر تاريخ بغداد (٢٤٥/٢) .

إن أبا عبد الرحمن السلمي أضاف للعباد والزهاد قصصاً غير صـــحيحة ، وكتـــاب طبقات الصوفية مليء بالكذب ، واشتهر عند كثير من أهل العلم أنه كان يضـــع الحكايـــات الصوفية [١]، وربما أن ما وقع له من ذلك سببه الغلط ولا يظن به تعمد الكذب ، لكن لعـــدم الحفظ والإتقان دخل عليه الخطأ في الرواية [٢].

فهذا هو الشيخ ؛ وأما التلميذ فهو : أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني ولد ســـنة (٣٥٨هـــ) في ميهنة سرخس من بلاد خراسان ، وتوفى سنة (٤٤٠هـــ).

وهو من أقدم المؤسسين للخانقاهات ، وأسلوب إدارتها ، وأنظمتها ، والقواعد الـــتي وضعها في ذلك ؛ تعدُّ من أقدم النظم الخاصة بمجتمعات إخوان الطريقة ، وإخوان الصفا [٣].

ومن نظام هذا الهيكل الذي وضعه هذا الميهني المشار إليه : أنه جعله متسلسلاً عـــن طريق الوراثة !! وفارسية هذا الرجل ، وكونه أول من أنشأ الطرق ، أمور تلقي بظلالها علـــى مصادر هذا الأمر الدخيل على الإسلام .

هذا من جهة أول من أحدث التنظيم الهيكلي لهم .

وأما من جهة تنوع هذه الطرق وتنظيماتها ؛فإن طرق التصوف انقســـمت إلى تيارين : **الأول** : أقرب إلى الإسلام نسبياً ، وهم صوفية القرن الثالث والرابـــع ، ثم صـــوفية الغزالي ، ومن اتبعه من شيوخ الطرق الكبار ، ومن تأثر به كالرفاعي ، والجيلاني ، والشاذلي ، والمرسي ، والسكندري .

الثاني : اتجاه فلسفي الأبعد عن الإسلام ، وحاول أصحاب هذا الاتجاه تأسيس طـــرق على المنهج الفلسفي ، لكنها لم تبق ، ومن القرن الثامن وحتى العصر الحاضـــر والتصـــوف في

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢/١١) ، مجموعة فتاوى ابن تيمية (٣٣٣/١) ، منـــهاج الســـنة (١١/٨) ، وسير أعلام النبلاء (٢٥٤/١٧) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢/١١) .

(٣)تاريخ التصوف لقاسم غني ص٦٦٩-٦٧٠ .

انحطاط ، ولله الحمد ، وأتباعه لم ينتجوا جديداً وإنما يلخصون كتب من قبلـــهم ويشـــرحونها واعتنوا بكثير من الطقوس الغريبة ، والشكليات التي أبعدتهم عن الإسلام [(١)].

لكن الطرق المشار إليها في الاتجاه الأول قد تبلورت وتطورت ، وصار لكـــل شـــيخ طريقة منظمة ، ودساتير محترمة ، وأنظمة لا يجوز مخالفتها ، وإلا طرد و لم يحصل على الولايـــة و لم يتيسر له طريق الله !!.

وهذه القواعد التي وضعوها مهدت لإماتة أجيال من شباب هذه الأمة وصالحيها ، وأفقدتهم عقولهم ، وسلبت عنهم تفكيرهم ، فصاروا آلات جوفاء تردد ما يقال لها ، وتبعت هذه الجماهير المضللة شيوخ الضلالة : ’Î Nåè™ @Ê ûïÏ%$Ç!ÎÈ x»yå ûïÎ£z÷{$$Î/ Läã¥Îm7tRçt@d ö@èd

bqãZÅ¡øtä Nåk¨Xr& bqç7|¡øts Nèdr $u‹R‘‰9$# Ío4quŠptø:$# á $èy÷ès [الكهف :١٠٣-١٠٤].

يقول الشيخ محمود قاسم في كتابه: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، عن طرق الصوفية :

« لا يوجد في الصوفية إلا طريقتان:

١- طريقة الإشراق : هي الطريقة الوحيدة الأزلية التي استعملها المتصوفة في كل الأمم .

٢- طريقة البرهان أو الطريقة الغزالية أو التصوف السني » [(٢)].

الأولى أسلوبها أن يميت السالك إحساساته وأعصابه بإرهاقها جداً ؛ حتى يصل إلى ما يشبه العته بالجوع ، والصمت ، والسهر ، وتعذيب النفس ، ونحو ذلك .

أما طريقة البرهان فهي طريقة الإشراق نفسها مزجوها بالإسلام ، وفلسفها الغـــزالي بذكاء ودهاء ، «خلاصة القول : لا يوجد في التصوف إلا طريقة واحدة هي طريقة الإشراق ، سواء عند متصوفة المسلمين أو عند غيرهم ، ولكن متصوفة المسلمين مزجوا الطريقة الإشراقية

---

(١)الفكر الصوفي المعاصر ص ٢٩-٣٠ .

(٢)الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣٠٩ .

بالإسلام ، وسموا ذلك "التصوف السني" ، أو "الطريقة البرهانية" ، أو الغزالية ، وبذلك استطاعوا أن يخدعوا المسلمين ويجروهم إلى التصوف» [١] .

والحق أن الطرق الصوفية مع تنوعها وكثرتها متفقة في أنواع من الباطل والابتداع والغلو ، فالرياضة المبتدعة ، ودعوى الكشف والتفريق بين الحقيقة والشريعة ، والغلو في الشيخ وتقديسه ، والتلقي عنه وعن المنامات والرؤى والحكايات وجعلها هي الأصل ،كل ذلك جامع مشترك لجميع هذه الطرق ، فتعدد الطرق بسبب تنوع المشايخ وإلا ليست طرقاً في الحقيقة ؛ إنما هي مشيخات ، فالفروق بينها شكلية ، إنما هي فروق بكلمات الأذكار ، والأحزاب ، والأوراد ؛ لا بمعانيها .

وفروق بأشكال الحضرة ومواعيد المولد وطريقة الغلو وتنويع القصص والخرافات ، وفروق في أسماء الشيوخ ونحو ذلك . فمنْ عنَّ له أن يبتدع طريقة فعل وسماها باسمه واسم قبيلته ونحو ذلك ؛ فيعسر حصر هذه الطرق .

ويكفي أنه في بلد واحد وفي فترة زمنية قصيرة هي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بلغ عدد الطرق الصوفية في بلد واحد أكثر من مائة طريقة [٢].

ومن عادة هؤلاء الطرقيين افتراء الكذب ، وادعاء الانتساب إلى آل البيت ، أو لولي من الأولياء .

وعادة ما يجعلون لهم صناديق تقبل النذر المصروف للأولياء، وربما توسعت الطريقة وعظم شأنها فصار لها نفوذ وقوة ودعاية إعلانية من مجلات وربما مدارس ونفوذ سلطاني .

ثم إن كل أتباع طريقة يحذرون من الطرق الأخرى المنافسة لهم ، ويدعون إلى اتباع طريقتهم ، ويتقاتلون ويتنابزون بالألقاب ، فالرفاعي المنتسب إلى الرفاعية يحذر من الطريقة التيجانية ومن غيرها ، ويدعو إلى اتباع طريقته ويمدحها ويبالغ في ذلك ،ويرون أن طريقتهم

---

(١)الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣١٥ .

(٢)الفكر الصوفي المعاصر ص٢٢١-٢٢٢، وانظر ص ٢٣٧-٢٣٩، الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣١٥ .

ناسخة لجميع الطرق كما أن الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع ، وهكذا غـــيره مــــن الطرقيين .

ومن مقولاتهم: « لا وصول إلى الحقيقة إلا بعد سلوك الطريقة »، «ومن لم يكن له شيخ فشيخه شيطانه» ،«وكن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل » ،«ومن قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبداً » !!

وهذه الطرق الصوفية القديمة خرجت بعدها طرق أخرى ثم طرق وهكذا ، كما قال الله تعالى: â (bÎ$!%ïû ùS$èqè (Š/Î$]ïNä . r (qçR ©ÏY$©9$# |Mó ‘Î1 «ôäó á [الأنعام :١٥٩] ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" .

المبحث الثاني : أسماء بعض الطرق الصوفية: من أوائل الطرق التي انــدثرت وهـــي أصول الطرق التي حدثت فيما بعد :

١- المحاسبية :

نسبة إلى أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، بصري سكن بغداد وتوفي سنة ٢٤٣هـــ ، "وقد سئل أبو زرعة الرازي عن المحاسبي وكتبه ، فقال : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر تجد غنية ، هل بلغكم أن مالكاً والثـوري والأوزاعـي صنفوا في الخطرات والوساوس ، ما أسرع الناس إلى البدع "[(١)].

وطريقة أتباعه موافقة لمعظم ما عليه صوفية خراسان ذلك الوقت إلا أن لهـا بعـض الاختلاف اليسير بينهم[(٢)] .

٢- الطيفورية أو البسطامية ، نسبة إلى طيفور بن عيسى أبو يزيد البســطامي وهـو مشهور بكنيته (ت٢٣٤هـــ أو ٢٦١هـــ) كان جده مجوسياً فأسلم ، وطريقته كما يصـفها الصوفية : الغلبة والسكر ، ونقلت عنه أقوال خطيرة مثل :"ما في الجبة إلا الله " ، " سبحاني ما أعظم شأني "، "ما المحدثون ، إن خاطبهم رجل عن رجل ،فقد خاطبنا القلب عن الرب " .

وكان أتباعه يتجنبون مخالطة الناس ، ويفضلون الخلوة والعزلة ،وشطحات أتباعه كثيرة جداً تبعاً لشطحات شيخهم [(٣)].

---

(١)انظر : ترجمة المحاسبي في : طبقات الصوفية، للسلمي، ص٥٨ ، الحليـة (٧٣/١٠) ، تـاريخ بغـداد (٢١١/٨) ، وفيات الأعيان (٥٧/٢) ، البداية والنهاية (٣٤٥/١٠) ، سير أعـلام النـبلاء (١١٠/١٢) وانظر: تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٦٢٢.

(٢)انظر :سؤالات البرذعي ص٥٦١، ميزان الاعتدال للذهبي ١٦٥/٢ ، سير أعـلام النـبلاء ١١٢/١٢ ، تهذيب التهذيب ١١٧/٢ .

(٣)طبقات الصوفية ص ٦٧، الحلية(٣٣/١٠)، وفيات الأعيان (٥٣١/٢) ،البداية والنهايـة (٣٥/١١) ، سير أعلام النبلاء (٨٦/١٣) . وانظر: تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٦٣٠ ، وشطحات الصـوفية لعبـد الرحمن بدوي.

٣- السقطية: نسبة إلى أبي الحسن السري بن المغلس السقطي خـــال الجنيـــد ، ت: ٢٥٣هـــ[١].

٤- القصارية : أتباع أبي صالح حمدون بن عمارة القصار (ت٢٧١هـــــ) ، ومـــن طريقتهم: إظهار الملامة ، ونشرها ، والتعرض للبلايا وتأديب الـــنفس بـــالتحقير والإهانـــة ، واشتهر بعد ذلك طائفة يقال لهم الملامتية ، وزاد فيها ابتداعا أيضا تلميذه أبو محمد عبد الله بن منازل، ت: ٣٢٩، أو ٣٣٠هـــ. وظهر الغلاة منهم في تركيا حديثاً [٢].

ومن فرقها : القلندرية وهم الذين تركوا العادات والآداب وراءهـــم ظهريـــاً وأهملوا التقيد بآداب المجالس والمعاملات ـــ ومن الأمور التي عرفوا بها : حلق شـــعر الـــرأس واللحية والشارب والحاجب !! وكانوا يلبسون زي العجم والمجوس [٣].

٥- الجنيدية: أتباع أبي القاسم الجنيد بن محمد ، ت: ٢٩٧هـــ ، قالوا في وصـــف طريقته إنها توفق بين الشريعة والحقيقية!! وتجمع بين الظاهر والباطن!! وإنهـــا أكثـــر ملاءمـــة للمبتدئين وغير الناضجين [٤].

٦- النورية: أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد الخراساني البغوي النوري ت: ٢٩٥هـــ وهو من أصحاب الجنيد ، وله عبارات دقيقة يتعلق بها من انحرف من الصوفية ، وأُخِذَ لِيُقتـــل على الزندقة !! ثم عفي عنه وأطلق .وأتباعه أخذوا من عباراته ما قادهم إلى القـــول بالفنـــاء

---

(١)انظر : طبقات الصوفية للسلمي ص٤٨ ، الحلية (١١٦/١٠) ، تـــاريخ بغـــداد (١٨٧/٩) ، البدايـــة والنهاية (١٣/١١) ، سير أعلام النبلاء (١٨٥/١٢) .

(٢)تاريخ التصوف ص ٦٣٣.

(٣) ترجمة القصار في : طبقات الصوفية للسلمي ص١٢٣ ، الحلية (٢٣١/١٠) ، ســـير أعـــلام النـــبلاء (٥٠/١٣) . وانظر: تاريخ التصوف في الإسلام لقاسم غنى ص ٦٢٤-٦٢٥ .

(٤)تاريخ التصوف ص ٦٣٣. وانظر طبقات الصوفية ص ١٥٥ ، الحليـــة (٢٥٥/١٠) تـــاريخ بغـــداد (٢٤١/٧) ، وفيات الأعيان (٣٧٣/١) ، البداية والنهاية (١١٣/١١) ، السير (٦٦/١٤) .

والحلول . وهؤلاء يذمون العزلة ويحثون على المعاشرة والمصاحبة ، ويحثون على الإيثار ولهم في ذلك تفسيرات وتأويلات وحكايات(١) .

٧- السهلية أو التسترية: أتباع سهل بن عبد الله التستري ت: ٢٧٣ أو ٢٨٣هـ .

وكانوا يعظمون رياضة النفس والمجاهدة ويجعلونها سبيلاً للوصول إلى الغاية وهذا مما تتفق عليه غالب الطرق لكن هؤلاء يولون هذا الجانب اهتماماً أكبر ويقدمونه على واجبات السالك الأخرى (٢) .

٨- الخرازية: أتباع أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز أحد المشاهير الصوفية في القرن الثالث (ت ٢٧٩هـ وقيل غير ذلك) وأساس طريقته مبني على موضوع البقاء والفناء !! قال الذهبي : يقال إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، فأي سكتة فاتته ، قصد خيراً ، فولد أمراً كبيراً تشبث به كل اتحادي ضال به ، ونقل عن السلمي إنكار أهل مصر عليه ، وتكفيرهم له بألفاظ حفظت عنه (٣).

٩- الحكيمية : أتباع أبي عبد الله الحكيم محمد بن علي الترمذي ، ت: ٢٩٦ أو ٣٢٠هـ . أحد كبار الصوفية في القرن الثالث ، وله تقعيدات وتأصيلات خطيرة في الولاية وتكلم الناس فيه لأجل موقفه من الولاية وتقديمه لها على النبوة (٤). وزاد أتباعه بعد ذلك على خطئه ما صار كفراً (٥) ، قال الذهبي لما بين سبب هجر العلماء للحكيم الترمذي : « كذا

---

(١)طبقات الصوفية ص ١٦٤ ، الحلية (١٠/٢٤٩) ، تاريخ بغداد (٥/١٣٠) ، البداية والنهاية (١١/١٠٦) ، السير (١٤/٧٠) ، تاريخ التصوف ص ٦٣٤.

(٢)انظر: طبقات الصوفية ص ٢٠٦، الحلية (١٠/١٨٩) ، وفيات الأعيان (٢/٤٢٩) ، شذرات الذهب(٢/١٨٢) ، السير (١٣/٣٣٠) ، تاريخ التصوف ص ٦٣٦.

(٣)انظر: طبقات الصوفية ص ٢٧٩ ، حلية الأولياء (١٠/٢٤٦) ، تاريخ بغداد (٤/٢٧٦) ،البداية والنهاية (١١/٥٨) ، شذرات الذهب (٢/١٩٢) ، تاريخ التصوف ص ٦٤٠.

(٤)انظر: طبقات الصوفية ص ٢١٧، الحلية (١٠/٢٣٣) ، السير (١٣/٤٣٩) ، وخبر اتهامه بالكفر والزندقة في السير (١٣/٤٤١-٤٤٢) ، تاريخ التصوف ص ٦٣٨.

(٥)انظر: مجموع الفتاوى (١١/٣٦٣ ، ٣٧٣) .

تُكُلِم في السلمي من أجل تأليفه كتاب حقائق التفسير ، فيا ليته لم يؤلفه ،نعــوذ بــالله مــن الإشارات الحلاجية ، والشطحات البسطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة ...» [١] .

١٠- الحلاجية: نسبة إلى أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج ، قتل: ٣٠٩هــــ ، وكان جده مجوسياً ، وظهر للناس سوء سيرته ، ومروقه ، قال الذهبي : «منهم من نســبه إلى الحلول ، ومنهم من نسبه إلى الزندقة ، وإلى الشعبذة والزوكرة ، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال ، وانتحلوه وروجوا به على الجهال ».

والصوفية كلهم يزكونه؟! ويمدحونه كالغزالي والقشــيري وابــن عــربي والصــوفية المعاصرون [٢].

١١- السيارية: أتباع أبي العباس القاسم بن القاسم السياري المروزي (ت٣٤٢هــ).

ومذهبهم مبني على الجمع والتفرقة وهما من الألفاظ المجملة التي يراد بها حــق وباطل ، ولا يفهم سامعها مرادهم بها ؛ ويدخلون أمورهم الباطلة في مثل هذه المصطلحات ؛ فالجمع مشاهدة الأشياء بواسطة الله وبوسيلته !! وجمع الجمع هو الفناء عما سوى الله، وهــو مقام الاتحاد والاتصال !! [٣].

١٢- الحلمانية :أتباع أبي حلمان الفارسي الحلبي في القرن الرابع وكانت تصــرح بالقول بالحلول ووحدة الوجود ، وهي من الطوائف الباطنية [٤].

١٣- القشيرية: أتباع أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، ت: ٤٦٥هــ [١].

---

(١)السير(٤٤٣/١٣) .

(٢)انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧٩ ، تاريخ التصوف ص ٦٣٣.

(٣)انظر: طبقات الصوفية، ص ٤٤٠ ، الحلية (٣٨٠/١٠) ، الســير (٥٠٠/١٥) ، شــذرات الــذهب (٣٦٤/٢) ، تاريخ التصوف ص ٦٤٣.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧٥ .

فهذه الطرق في القرن الثالث والرابع والخامس مقدمات للطرق الـتي جـاءت بَعْـدُ كالرفاعية: نسبة إلى أحمد الرفاعي، من بني رفاعة قبيلة من العرب ، ت: ٥٧٨هـ. وهي ثلاثة فروع: البازية ، الملكية ، الحبيبية ، وطريقته منتشرة في بعض البلاد كالطريقـة الحريريـة في سوريا ، وبعض هؤلاء يظهرون الشعوذة ويدعون أنها كرامات ؛ كالطعن بالسكاكين ، وأكل النار ، وازدراد الأفاعي وتحمل لدغها .

والبكتاشية : أسسها الحاج بكتاش ولي ، ت : ٧٣٨ هـ ، وهي من الطـرق الـتي اختلط فيها التصوف بالتشيع ، ولها انتشار واسع في تركيا ومصر والمغرب .

والنقشبندية : نسبة إلى بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشـبند ، ت: ٧٩١هـ ، ولها انتشار في تركستان ،والصين ، والهند ، وماليزيا ، وتركيا .

والأحمدية: نسبة إلى أحمد البدوي ، ولد بفاس ورحل إلى العراق ، ثم مصر ، ومات في طنطا، ت: ٦٢٤هـ.

وانقسمت هذه الطريقة إلى ستة عشر فرقة تبعا لأبرز شيوخها:

المزارقة ، الكناسية ، الأبنابية ، المنايفة ، الحمودية ، العدمية ، الحلبيـة ، الزاهديـة ، التشعيبية ، البيومية ، التسقانية ، الثناوية ، العربية ، السطوحية ، البندارية ، المسلمية.

والسبعينية : نسبة إلى عبد الحق ابن سبعين ت ٦٦٩.هـ الاتحادي الضال ،من أشـهر القائلين بوحدة الوجود ، والدسوقية: نسبة إلى إبراهيم الدسوقي ، والمولوية: جـلال الـدين الرومي، والأكبرية: نسبة إلى ابن عربي، ولها فرعان: الشهاوية، الشرانية ، والبكدائية : وهـي التي تنتمي إليها الأتراك العثمانيون ، وهي في ألبانيا إلى الآن ، وهي أقرب إلى التصوف الشيعي ، والميرغنية : نسبة إلى محمد الميرغني والخلوتية نسبة إلى محمد الخلوتي ، والصديقية نسبة إلى أبي بكر بن هواري ، والكيروية نسبة إلى نجم الدين الكيري ، والجهرية نسبة إلى الخواجة أحمـد السيوري ؛ سميت بذلك لكونها تقوم على الجهر بالذكر ، والبرهانية نسبة إلى برهان وهي أيضاً

(١) الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشيبي ص ٤٤٠-٤٤٦ ، وبغية المستفيد بشـرح منيـة المريد ص٧٤-٧٥.

تقوم على الجهر بالذكر ولبس الزي الأخضر ، والعيدروسية نسبة إلى عبد الله بن عيــدروس ، والحاتمية نسبة إلى ابن عربي الحاتمي الاتحادي .

ويظهر تطور للطرق بعد حدوث الدولة العثمانية وتوطيد أركانها ، فنشطت الطــرق وزاد عددها ، لتشجيع سلاطين الأتراك على هذه الطرق ومحبتهم لها .

وتوالى ظهور طرق صوفية جديدة في هذا العصر في مصــر وفي غيرهــا مــن الــبلاد الإسلامية ، واللائحة الرسمية لطرق الصوفية بمصر الصادرة عام ١٣٢٣هـ تجوز زيادة طــرق جديدة متى كانت لا تشابه طريقة من الطرق الموجودة في اسمها أو اصطلاحها ، وبلــغ عــدد الطرق عام ١٣٢٣هـ بمصر ٣٢ طريقة ، وفي عام ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م ٦٧ طريقة ، وحتى عام ١٤١٠هـ بلغ عددها ٧٢ طريقة ، هذا غير الطرق التي لم يعترف بها رسمياً ، وهي كثيرة جداً [(١)].

---

(١)انظر كتاب الفكر الصوفي المعاصر للقشعمي ص ٢٢١ ، ٢٣٧ ، ٣٧٤-٣٧٥ .

المبحث الثالث :أهم الطرق الصوفية المعاصرة

ترجع معظم الطرق الموجودة اليوم إلى طرق أصول ؛ هذه الطرق تفرعت عنها ، وهذا سببه الشكل التنظيمي والاختلاف في سلسلة السند والشيخ الذي أخـذت عنـه الطريقـة ، ويختلف الباحثون في أصول الطرق الصوفية المعاصرة على عدة أقوال ، وذلك بسبب التشـابه بينها والتداخل في التلقي والسلوك والصفات ونحو ذلك ، وهذا البحث لا أثر له في الواقـع ، ولكن أشير إلى أمات الطرق الصوفية المعاصرة إشارة موجزة :

الجيلانية :

نسبة إلى عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ) دفن ببغداد وتنسب إليه كثير من الكرامات ويحج إلى قبره جموع من أتباعه ، ويدعي أتباعه أنه هذه الطريقة ساهمت في نشر الإسـلام في أفريقيا.

الشاذلية :

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي (ت٦٥٦هـ) وطريقته منتشرة في مصر ، واليمن ، وسوريا ، والمغرب العربي ، ولأتباعه حماس قوي في نشر دعوتهم ، وادعاء صحة طريقتهم وأنها سلفية !!

التيجانية :

نسبة إلى أحمد التيجاني (ت١٢٣٠هـ) وهي طريقة منتشـرة بقـوة في أفريقيـا ؛ في المغرب ، وموريتانيا ، وتشاد ، والسودان ، وفي كتاب الدكتور/ تقي الدين الهلالي (الهديـة الهادية إلى الطائفة التيجانية) عجائب وغرائب عن هذه الطريقة المنحرفة ، وهو رحمه الله كان منهم ثم تاب .

البريلوية :

أسسها أحمد رضا خان بن تقي علي خان، وسمي نفسه عبد المصطفى (ت١٣٤٠هـ) وتنسب إلى بلد ولادة المؤسس هي بريلي ، ولديهم عقائد كفرية منها الغلو في الأنبياء وفي النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، ويكفرون عموم المسلمين الذين يخالفونهم في آرائهم .

الختمية :

أسسها محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب ت١٢٦٨ هــــــ ، وسمى طريقته الختمية إشارة إلى أنه خاتم الأولياء !! وتسمى الطريقة الميرغنية ، ولهم انتشار في السودان ، هذا المؤسس له افتراءات على الله جل وعلا ، وعلى رسوله صلى الله عليه وســـلم كبقية الصوفية ، وهو القائل : « إن من رآني ، أو رأى من رآني ، أو رأى من رأى من رآني ، أو رأى من رأى من رأى من رآني ،أو رأى من رأى من رأى من رأى من رآني لا تمسه النار) ويزعم هذا الأفّاك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك .

وخرافاتهم وشركهم وبدعهم كثيرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى .

وهناك طرق أخرى معاصرة مثل :

القادرية ، والسهروردية ، والحصفية ، والجشتية ، والخلوتية ، والمشارعية ، والقشيرية ، والخشنية ، والمدارية ، والعشقية ، وغيرها كثير [١].

{qR. $ÿ NãfrãSè‹ $’‹Ï Nèdãè $JŸÏ äô« ’Î Nåk÷]ÏB |Mó¡©9 4 ¨bÎ) {qR.r Nåk÷Ž ¨Ï{qè4 ûïÏ%©!$# ¨bÎ) â

á bqè=yèøÿtƒ [الأنعام :١٥٩] .

(١)انظر كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٥٣ -٣٧٦ .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ،وبعث إلينا أفضل رسله محمد الذي أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت بدعوته القلوب بعد شتاتها ، وعز جند الرحمن وذل حزب الشيطان وظهر نور الفرقان وقامت حجة الله على الإنس والجان وقد ترك أمته على محجة بيضاء نقية وطريقة واضحة سوية لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ...

فهذه الورقات جمعت مسائل مهمة تتعلق بالصوفية وأول انحرافاتها وبدعها ، وما وصل إليه المتأخرون والغلاة في آخر الأمر... وبه يتبين أهمية التمسك بالسنة والدعوة إليها خصوصا في هذه الأزمان المتأخرة أزمان الغربة وقلة العلم ؛ فإن إبطال البدع وردها من أوجب الواجبات على أهل الإسلام ، وإحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنها من أعظم أنواع الجهاد ؛ فإن فيه حفظاً لأصول الإسلام ، ولم يزل دأب أئمة السلف في الرد على أهل البدع والأهواء والتصدي للمخالفين عبر تلك القرون الطويلة ، خاصة بعد حدوث النحل الخبيثة ، القرامطة والباطنية والفلاسفة الملاحدة ، وهذه الفرق هي أشد نكبة نكب بها أهل الإسلام .

فنسأل الله أن يعز الإسلام وأهله ، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يمنحهم الفقه في دينه ولزوم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والذب عنها وجهاد من عارضها برأي أو هوى . إنه سميع مجيب الدعاء ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

قائمة المصادر والمراجع

١. إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، حققه وخرج أحاديثه : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سوريا ط.٢ ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

٢. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ،شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ،ط.٣ ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

٣. الباعث على إنكار البدع والحوادث للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعرف بأبي شامة الشافعي ، دراسة وتحقيق ،عادل عبد المنعم أبو العباس ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٤. البدع والنهي عنها لابن وضاح، عني بطبعه وتصحيحه محمد أحمد دهمان، دار الأصفهاني بجدة.وطبعة أخرى ت/عمرو عبد المنعم سليم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ط. الأولى ١٤١٦هـ

٥. تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق ، للمحامي عباس العزاوي ، مخطوط ، محفوظ بجامعة الإمام برقم (٧٠٨٧) .

٦. تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

٧. تبرئة الذمة في نصح الأمة ، لجامعه محمد عثمان عبده البرهاني ، مطبوعات الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، بدون تاريخ .

٨. التجانية : دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة ، د.علي بن محمد آل دخيل الله ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ط. ٢ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٩. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، د. زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

١٠. التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ،إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ،بدون تاريخ .

١١. التصوف بين الإفراط والتفريط ،الدكتور عمر عبد الله كامل ،دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، ط.١ ،١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

١٢. التصوف هل له أصل في الكتاب والسنة ، أبو عبد الرزاق د/ محمود بن عبد الرزاق دار ماجد عسيري ، جدة ، بدون تاريخ .

١٣. التصوف والاتجاه الفلسفي في العصر الحديث ، د.مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .

١٤. التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، ط.١ ١٩٨٠م .

١٥. التصوف والمجتمع ،نماذج من القرن العاشر الهجري ، عبد اللطيف الشاذلي ، منشورات جامعة الحسن الثاني ، مطابع سلا .

١٦. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي الشافعي، ت/ يمان بن سعد الدين المياديني، رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع، ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبى جعفر بن جرير الطبري، مطبعة البابي الحلبي، ط الثالثة.

١٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلميـة، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٩. جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني ، لعلي حراز بن العربي براده المغربي الفاسي ، وبهامشه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد الفوتي الكروي ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ط.الثانية ،١٣٩٣هـ١٩٧٣م .

٢٠. الحاوي في فتاوى عبد الله بن الصديق الغماري ، دار الثقافة العربية ط. ١ ، ١٤٠٢هـ .

٢١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .

٢٢. الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ، حققه عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ط.١ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

٢٣. الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، الشيخ الأمين عوض الله ، دار المجمع العلمي بجدة ،١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٢٤. دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير ،إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان بدون تاريخ .

٢٥. ذم الكلام، لأبي إسماعيل الهروي، ت/ عبد الله الأنصاري، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٦. الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية لابن تيمية، تصحيح وتعليق عبدالرحمن المعلمي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عام ١٤٠٤هـ.

٢٧. رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي ، مكتبة الإيمان ، الإسكندرية ،ط.١ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٢٨. الرسالة القشيرية في علم التصوف ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، تحقيق : معروف مصطفى زريق ، علي عبد الحميد أبو الخير ، دار الخير ، بيروت لبنان ، ط.٣ ،١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٢٩. الزهاد الأوائل ، دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى ،د. مصطفى حلمي .

٣٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، جـ١-٢، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، جـ٣ مكتبة المعارف، ط الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، جـ٤ المكتبة الإسلامية مع مكتبة المعارف، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٥ مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، جـ١، المكتب الإسلامي، ط الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، جـ٢، المكتبة الإسلامية، عمان، ومكتبة المعارف بالرياض، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٣، مكتبة

المعارف، ط الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، جـ٤، مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢. سنن أبي داود، ت/ عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٣٣. سنن ابن ماجه، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصورة، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٤. سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الجزء الثالث، وإبراهيم عطوة الجزء الرابع والخامس، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. وطبعة أخرى من الكتاب ت/ بشار عواد معروف ، دار الجيل بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط.الثانية ١٩٩٨م .

٣٥. سنن الدارمي، تحقيق فؤاد أحمد زمزلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٦. السنن الكبرى للنسائي ، ت/عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط. الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٣٧. سنن النسائي، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٨. سير أعلام النبلاء ،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط. ٦١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

٣٩. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت/ مجموعة من الباحثين، أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط السادسة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٤١. شرح صحيح مسلم للنووي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٢. صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)، ترتيب ابن بلبان، ت/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٣. صحيح مسلم ، ت/ محمد فؤاد عبد البـاقي، دار الحـديث، القـاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة مـن الطبعة السلفية، دار الفكر.

٤٤. صفة الصفوة لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ، حققه وعلق عليه محمود فاخوري ، دار الوعي حلب ، بدون تاريخ .

٤٥. الصلة بين التصوف والتشيع ، د.كامل الشيبي .

٤٦. الصوفية الغزو المدمر (قديماً وحديثاً) ، أحمد بن عبد العزيز الحصين ، دار عالم الكتب ، الرياض ،ط.٣ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٤٧. الصوفية الوجه الآخر ، الدكتور محمد جميل غازي ، إعداد عبد المنعم الجداوي المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة ، القاهرة، بدون تاريخ .

٤٨. الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبده وطارق عبد الحليم ، مكتبة الكوثر ، الرياض ط.٤ ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

٤٩. الضياء اللائح في مناقب القطب الواضح ، الشيخ أحمد الطيب بن الشيخ البشير ، تأليف الأستاذ عبد المحمود نور الدائم الطيبي السماني ، رابطة شباب السمانية ، بدون تاريخ.

٥٠. الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب الشعراني ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٥١. ظهور خلافة العثمانيين وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي) ، د .عبد المنعم ماجد دار المعارف ، مصر ، الإسكندرية ، ط.١٩٦٨م .

٥٢. العقد الثمين في بيان مسائل الدين ، علي بن محمد بن سعيد بن عبد الله السويدي ت١٢٣٧هـ ، تحقيق وتعليق :صالح بن محمد العيدان ، إشراف راشد بن حمد الطيار ، رسالة ماجستير عام ١٤١٩هـ ، جامعة الإمام ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

٥٣. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ت/ محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلميـة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، (ست مجلدات).

٥٤. الفرق بين الفرق، للبغدادي، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث.

٥٥. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ، د. كامل الشيبي ، مكتبة النهضة بغداد ، ط.١ ،١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .

٥٦. الفكر الصوفي المعاصر وأثره الثقافي في مصر ـ دراسة وتقويم ـ ،ت : عبد العزيز بن محمد القشعمي ، إشراف : عبد الله بن إبراهيم الطريقي ، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود .

٥٧. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الرحمن عبد الخالق ، دار الحرمين للطباعة ، القاهرة ، ط.٤ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

٥٨. فلسفة الحياة الروحية : منابعها ، ومشاربها ، ونشأتها ، ونشأة التصوف والطرق الصوفية ، ت: د. مقداد يالجن ، عالم الكتب ،ط.٢ ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

٥٩. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٦٠. الكاكائية في التاريخ ، عباس العزاوي ، شركة التجارة ، بغداد ،ط.١ ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م .

٦١. الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، محمود عبد الرؤوف القاسم ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، ط.٢ ،١٤١٣هـ .

٦٢. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٦٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب/ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طبعة مصورة، مكتبة ابن تيمية.

٦٤. مجموعة فتاوى ابن تيمية خمس مجلدات، طبعة مصورة، دار الفكر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٥. المدخل إلى التصوف الإسلامي ، السيد محمود أبو الفيض المنوفي .

٦٦. المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ، الدار السلفية ط. الأولى ١٣٩٩هـ ، وطبعة أخرى دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط. الأولى ١٤١٦هـ -١٩٩٥م .

٦٧. المصنف، لعبد الرازق، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإســلامي، ط الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٨. مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، إدريس محمود إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ،ط.الأولى ١٤١٩هـ،١٩٩٨م .

٦٩. مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية (البطائحية) ، قدم لها وعلق عليها : عبد الرحمن دمشقية ، دار طيبة ، الرياض ،ط.١ ،١٤٠٨هـ .

٧٠. المنحة المحمدية في بيان العقائد السلفية ،محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ط.١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٧١. منهاج السنة النبوية، لابن القيم، ت/ محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٧٢. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ،لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، مكتبة المثنى بغداد طبعة مصورة .

٧٣. موقف الإمام ابن القيم من الصوفية ، مصطفى مراد ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ، الشارقة ط.١ ١٤٢١هـ٢٠٠٠م .

٧٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغــري بردي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٤٨هـ ـــ ١٩٢٩م.

٧٥. هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط.٤ ١٩٨٤م .

فهرس الموضوعات